الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات

ميدان الفنون والآداب واللغات

عنوان المذكرة:

الحضور الديني في مسرح توفيق الحكيم

مسرحية: "سليمان الحكيم" أنموذجا

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد
شعبة الأدبيات

إعداد الطلبة:

.....

- عبد الحفيظ دريكش
- مهدي بن سليمان
- حسام عيبش

إشراف الأستاذ:

.....

إسمهان حيدر

السنة الجامعية:2010 - 2011

يارب لا تدعنا نصاب بالغرور إذا نجحنا، ولا نصاب باليأس إذا فشلنا، بل ذكرنا دائما بأن التسامح هو أكبر مراتب القوة، وأن حب الانتقام هو أول مظاهر الضعف.

يارب إذا جردتنا من المال أترك لنا الأمل، وإذا جردتنا من النجاح أترك لنا العناد حتى نتغلب على الفشل.

وإذا جردتنا من نعمة الصحة أترك لنا نعمة الإيمان.

يارب إذا أعطيتنا مالا لا تأخذ به سعادتنا، وإذا أعطيتنا القوة لا تأخذ بها عقلنا، وإذا أعطيتنا نجاحا لا تأخذ به تواضعنا، وإذا أعطيتنا تواضعنا لا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا.

يارب إذا أسأنا إلى الناس أعطنا شجاعة الاعتذار، وإذا أساء الناس إلينا أعطنا شجاعة العفو والصفح.

يارب إذا نسينا فلا تنسانا

شكر وتقدير

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾

أول حمد نحمده للذي تتم بحمده الصالحات، وأعظم شكر للذي سجدت له الكائنات، الذي لولاه ما كانت الموجودات، نحمده سبحانه على حسن توفيقه لإتمام هذا البحث.

وعملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم " **لا يشكر الله من لا يشكر الناس**" أبو داود وأحمد

وبعد تمام هذا البحث المتواضع نرى من الواجب علينا، ومن باب الاعتراف بالجميل لأهله، أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذتنا الكرام الذين لم يبخلوا علينا يوما بآرائهم ونصائحهم.

وتشجيعاتهم، منذ أن ولجنا هذا المركز الجامعي المبارك، ونخص بالذكر أستاذتنا الفاضلة " **اسمهان حيدر**" التي تحملت أعباء الإشراف على هذا البحث، فرعت هذا البحث بكرا حتى أصبح اليوم متكاملا بحول الله ومشيئته، ولم تبخل علينا يوما بإرشاداتها وتوجيهاتها ونصائحها، والتي كانت لنا خير دليل ونعم المرشد في مسيرة هذا البحث.

كما نتقدم بجزيل شكرنا وفائق تقديرنا واحترامنا إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في انجاز هذا البحث المتواضع.

وأحسن منك لم تر قط عيني وأفضل منك لم تلد النساء

خلقت مبرءا من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

الى الحبيب المصطفى

الى معلم الناس الخير

الى كل طالب علم في كل زمان ومكان

أهدي هذا البحث المتواضع

الفـــهـرس

مقدمـــة

مدخـــل الحضور الديني في مسرح الحكيم 3–8

الفصل الأول: 9–23

المسرح وتوفيق الحكيم

1– ماهية المسرح ونشأته 10

أ- تعريف المسرحية 10

ب- نشأة المسرح 10

✓ المسرحية في الأدب الغربي 11

✓ المسرحية في الأدب العربي 13

2– مسرح توفيق الحكيم 16

أ- توفيق الحكيم الحياة والسيرة 16

ب- تأثير المسرح الغربي في مسرح الحكيم 17

جـ- تأثير توفيق الحكيم على المسرح العربي 18

الفصل الثاني: 24–60

الحضور الديني في مسرحية "سليمان الحكيم"

1– ملخص القصة القرآنية 24

2– ملخص المسرحية 31

3– تجليات القصة من خلال التفاعلات 33

أ– تفاعل الأحداث في القصة القرآنية 33

ب– تفاعل الأحداث في النص المسرحي 43

جـ– الشخصية بين النص القرآني والنص المسرحي 47

- مفهوم الشخصية 47

- الشخصية في النص القرآني 50

- الشخصية في النص المسرحي 58

خاتمـــة

قائمة المصادر والمراجع

مقدمة

لقد ترك الحكيم بصماته في تاريخ الأدب العربي بصفة عامة، والأدب المصري بصفة خاصة، وهذا نظرا لمعالجته للعديد من القضايا الميتافيزيقية والماورائية،والقضايا الدينية والسياسية والاجتماعية، والقضايا الفكرية والثقافية، في المسرح ، وفي الرواية والقصة مبينا فيها الأحداث المصرية والعربية.

فقد كان الحكيم نموذج المثقف الشامل، الذي لايريد ولا يقبل أن تفوته شاردة من هنا، أو واردة من هناك،إنّه كاتب نتاج؛ يرفض التقوقع في كتابة دون أخرى؛ أو هاجس دون آخر، وهو في ذلك من باب الشغف بالفكر وبالفن وبالأدب لا من باب الاحترام .

وهذا يظهر لنا جليا في إبداعه لترجمة النصوص القرآنية؛ وخاصة منها قصة أهل الكهف وقصة سليمان عليه السلام، وكذا سيرة محمد صلى الله عليه وسلم إلى مسرحيات، حيث تعد الأولى في قمة إبداع الحكيم فيما سماه بنفسه المسرح الذهني ،ففتح بذلك بابا جديدا في الأدب العربي كله، أي فتح باب القصة التمثيلية، فأحدث صدى رنانا بين المفكرين والنقاد.

وهذا ما دفعنا إلى البحث عن كيفية بناء هذه المسرحيات على غرار القصة القرآنية، إذ أن لكل واحدة منهما خصائصها الخاصة بها، مع الاحتفاظ بفكرة أن المسرحية هي عبارة عن قصة ممثلة، فكان سبب اختيارنا لهذا الموضوع دافعان:

دافع ذاتي، ودافع موضوعي، فأما الذاتي فيتمثل في ميولنا إلى القصص القرآني، فأردنا معرفة علاقته بمسرح الحكيم، وأما الدافع الموضوعي فهو محاولة الاجتهاد في دراسة أثر قصة سليمان عليه السلام في هذه المسرحية، فطرح في أذهاننا هذا الإشكال:

ما مدى تأثر توفيق الحكيم بالقصة الدينية ؟ وما مدى تأثيرها في أفكاره ؟وفيما تتمثل هذه الآثار والأفكار ؟.

ولكي تكون هذه الدراسة مبنية على منهج يوضح أطرها ومسلكها، اتبعنا منهجا يقوم على الوصف والتحليل، و انطلاقا من المنهج المختار وتقديم دراسة متكاملة،ارتأينا أن نقسم بحثنا إلى فصلين مسبوق بمقدمة ومدخل،ومختوم بخاتمة، فتناولنا في المدخل الحضور الديني في مسرح الحكيم، وأما الفصل الأول نظري موسوم ب" المسرح وتوفيق

الحكيم" ،أما الفصل الثاني تطبيقي، تناولنا فيه دراسة تطبيقية تحليلية لمسرحية" سليمان الحكيم " وتفاعلات النص القرآني مع النص المسرحي .

معتمدين في كل ما سبق على مجموعة هامة من المصادر والمراجع، وكان المصدر الأساس ممثلا في القرآن الكريم، ثم نتاج توفيق الحكيم لأهميتها وضرورتها في مثل هذه الدراسات التطبيقية، نذكر المصدر الأساس منها "مسرحية سليمان الحكيم"، وقد مهدت لنا الطريق كذلك العديد من المراجع التي استفدنا من آراء أصحابها الكثير، نذكر منها "المسرحية نشأتها تاريخها وأصولها "لعمر الدسوقي، و"مسرح توفيق الحكيم" لدكتور محمد مندور، إلى غير ذلك من المراجع التي استفدنا منها .

وككل بحث أو عمل ما، نتعرف إلى مصاعب ومتاعب نحس بها في البداية، ونتذكرها ونذكرها في النهاية، ولعل أهمها مسألة التوجيه المنهجي في عرض البحث وتسلسله، لولا تدخل الأستاذة المشرفة التي كانت تضع في كل مرة أصبعها على موضع الألم .

وفي الختام نتقدم بفائق الشكر والعرفان للأستاذة المشرفة " اسمهان حيدر " " أدام الله عزها وأبقي بركتها وحجب عيون النوائب عنها لما فاقت به بجودة ذهنها وكريم طبعها وانتهاء نظرها السديد " إلى أن وقفت على هذا البحث، و التي لم تدخر أي جهد لإفادتنا، والتي مهما شكرنا فلن نوفيها حقها، ولكل من ساعدنا من قريب أو بعيد من أجل إنجاز هذا العمل المتواضع، كما نتمنى أن يلق بحثنا هذا قبولا حسنا لدى كل من يطلع عليه طلبة أو أساتذة، وإن وفقنا فمن الله ،وإن أخفقنا فمن أنفسنا ومن الشيطان .

مدخل

الحضور الديني في مسرح الحكيم

لقد ولد المسرح من رحم الدين، فكان المعبد أول ميدان للعروض التمثيلية؛ والتي كان يقدمها كهنة ورجال الدين بحضور الجمهور.

لذا استعار المسرح في مرحلته التأسيسية الشكل الطقسي، والمضمون الأخلاقي، والطابع الأسطوري، وهذا ما يفسر ارتباط المسرح بوشائج متينة مع مبادئ وأخلاقيات غاية في السمو والمثالية؛ تلامس أو تقارب وأحيانا تتطابق كليا مع مثالية القيم في الأديان السماوية؛ والتي أقرتها ودعت إليها الكتب المقدسة والشرائع السماوية .

ويكشف لنا تاريخ المسرح أنه تطور من أعياد دينية إغريقية؛ كانت تمارس فيها طقوس دينية تمجيدا للآلهة، رغم أن بعض الأبحاث تشير إلى ارتباطه بطقوس دينية بابلية وفرعونية.

لكن المؤكد تاريخيا أن الظاهرة المسرحية والدرامية قد اقترنت بالحضارة الإغريقية، والتي قدمت لنا إلى جانب الفكر الفلسفي فن المسرح، حيث أسست أسسه ونظّرت قواعده، ولعل ما يسعى إليه المسرح منذ نشأته على يد الإغريق حتى يومنا هذا، كما يرى أرسطو إلى تحقيق مبدأ التطهير، وهو غاية سامية ونبيلة يحققها التفاعل الحي والوجداني بين العرض والمتلقي، فيتخلص المتلقي كما يرى أرسطو من شروره وأدرانه، ليحقق في النتيجة النهائية توازنا عاطفيا يوازي ما يتحقق لدى المصلي وهو يمارس طقوس الصلاة بتوحده مع الخالق سبحانه وتعالى .

وهكذا سار المسرح إلى جانب الدين؛ وانشغل في محطاته وموضوعاته؛ وحتى الكنيسة التي حاربت المسرح في أول الأمر وشنت عليه حربا عشواء وطاردته في كل مكان، لأنها وجدت في مضامينه الشرك والوثنية، وهو ما يخالف طبيعة الدين المسيحي ويمثل خطرا عليه، فسرعان ما عادت لتتبناه وسيلة فاعلة في تقديم أطروحاتها وقصصها الدينية التي تنطوي على موعظة أخلاقية، فظهر المسرح الكنسي في القرون الوسطى؛ وكانت تقدم فيه قصص الأنبياء والسيد المسيح وغيرها من القصص .

وقد تعرض الفن المسرحي – فيما بعد – إلى التدني والنكوص، ومر بفترات انحطاط، كان سببها الرئيس هو انحطاط الممتهنين به؛ لاسيما الممثلين الذين أصبحوا من السوقة والمارقين وحثالة الناس بعد أن كانوا من نخبة القوم في المراحل التأسيسية، حيث أعطى الإغريق مكانة اعتبارية متقدمة للممثل؛ والذي كان غالبا ما ينتسب إلى أسرة نبيلة وعريقة؛ ولا يسمح في حينها أن يكون الممثل من طبقة العبيد أو من عامة الناس .

ومن هنا ابتعد المسرح نسبيا عن طابعه الأخلاقي ورسالته الفكرية، أو بتعبير آخر خرج عن أسسه الأولى التي أسسها له الإغريق، لتقترن عروضه بالفرجة السطحية بقصد التسلية والمتعة العابرة، ومن هنا كان تحفظ المسلمين على فن المسرح؛ باعتباره خرقا فاضحا لأصول الإيمان والدين؛ فضلا عن فكرة التشخيص، حيث أن من يجرأ على تمثيل الشخصية الدينية مهما بلغ من سمو الخلق وكمال النفس والسيرة الحميدة لا يمكن – بحال من الأحوال – أن يرقى إلى مقام هذه الشخصيات الجليلة، مما يعد إساءة بالغة للدين نفسه ورموزه .

ومن هنا فإن انتشار المسرح عربيا أو إسلاميا لم يكن بالشكل المناسب أو المطلوب، وذلك للظروف والملابسات التي أحاطت بنشأته؛ من طقوس وثنية وشركية، إلا أن حملة "**نابليون**" وما أحدثته من تغير في جل الاتجاهات، واتساع وسائل الاتصال الفكرية والأدبية بين الثقافة العربية والثقافة الغربية، أدت بدخول فن المسرح إليها وتقبله فنا من فنونها، وقد ارتبط – في البداية– بالاقتباس والترجمة، إلا أن هذه البداية لم تدم طويلا عندما تفنن "**توفيق الحكيم**" بالدراما الفكرية، فعكف على دراسة ماضي هذا الفن، عندما أقام بفرنسا فتأثر بالاتجاه الفلسفي العالمي بغية تفسير الحياة وكشف حقائقها .

ومما نخاله معلوما تعدد ثقافة الحكيم بين غربية وعربية، مما أتاح له الفرصة لصبغ هذا الفن بصبغة خاصة، وهذا ما نتج عنه ما يمكن تسميته ب"المسرح الديني "، وذلك لمّا علم أن جوهر المسرح الحقيقي يتطابق مع جوهر الديانات السماوية بما فيها الدين الإسلامي، ولعل أعظم ما يمثل هذا الأخير كتابه المعجز القرآن الكريم، فهو آية الله الناطقة ، وهو كتاب عربي لغة وأسلوبا وفنا، بلغ مرتبة أدبية رفيعة، وذلك لما اشتمل عليه من أدب رفيع، وقصص بديع، وتشريع محكم، حيث قام بتغيير النظرة للحياة دينا ولغة وأدبا، أما الدين فقد جمع أتباعه على عبادة إله واحد صمد ، لم يلد ولم يولد، وأما اللغة فقد عنيت بجمع الشارد والوارد من مفرداتها، كما سجل قواعدها ونحوها وصرفها، وعنى بالجملة تركيبا وبديعا وبيانا، فكان القرآن وما يزال إلى جانب ناحيته الدينية كتاب لغة وأدب، أما من الناحية الأدبية فقد وجه القرآن الأدب العربي وجهة جديدة، فبعد أن كان العرب منصرفين إلى الشعر تحولوا تدريجيا إلى النثر، حيث ظهر من بينهم كتاب أفذاذ إلى جانب الشعراء .

ومن هنا فالقرآن الكريم عربي في لغته وأسلوبه وبيانه، وإنساني في رسالته وأهدافه وغاياته، وشمولي في نظرته للحياة والوجود والصلة بالله سبحانه وتعالى .

ومما لا يخاله الشك أن القرآن الكريم كتاب عقيدة، أنزله الله لهداية الناس، ومنهاجا لحياتهم، فيه نفعهم وصلاحهم، وفيه وسائل تعلمهم فنون القول على اختلاف أنواعها وألوانها.

ولعل من أهم الأساليب التي اعتمدها القرآن الكريم في تبليغ الدعوة القصة، غير أن القصص القرآني نهج متميز في موضوعه وأسلوب أدائه، وفي مقاصده وغاياته، فمن حيث الموضوع فهو نسيج خالص من الصدق المطلق والحقيقة؛ لا يختلط به وهم ولا خيال، وأما من ناحية الأسلوب فهو أسلوب رائع ممزوج بين الإعجاز بالروعة والصدق في الأداء، ومن هنا يلزمنا الإقرار بأن القصص القرآني معاف من الزيف، لأن مقصده وغايته الدعوة إلى الحق، والهداية إلى مواقع الخير، وإقامة وجه الإنسانية على مسالك الحق والخير .

كما يمكننا أن نفرق بين القصص القرآني والقصص الفني، وفي ذلك يقول خالد أحمد أبو جندي "...كما أن القصة القرآنية ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه، وطريقة عرضه، وسير حوادثه، كما هو الحال في القصص الفني، إنما القصة فيه وسيلة من الوسائل الكثيرة التي استخدمها لغرضه الأصيل وهو التشريع وبناء الفرد والمجتمع..."[1]

وبهذا تكون القصة القرآنية الشعلة المضيئة للإنسان؛ لتصل حاضره بماضيه، " فالقصص القرآني كله عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمان، أي وثيقة تاريخية من أوثق ما بين يدي التاريخ من وثائق، بما يشكل واقعية القصص القرآني، جاء بها من بطن الغيب ليحقق بها صدق الرواية، ويعارض بها روايات العبرانيين وأهل الكتاب، ويقص ماكان من أقوام مضت من مواقف إزاء الرسل والدعوة إلى الإيمان، فبنيته بناءا محكما من لبنات الحقيقة المطلقة" **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ** " فالقصة القرآنية وسيلة من وسائل التعبير الفني، وهي جزء ثابت في القرآن الكريم تلتحم به ولا تنفصل عنه، والتعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني فيما يعرضه من صور ومشاهد، بل إنه يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني ، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية "[2]

فهذا الجمال الفني سهل وصول أغراض القصة القرآنية إلى النفس البشرية، مما جعل الكثير من الأدباء والشعراء يجدون ضآلتهم في القصص القرآني، وكان لكل منهم فهمه وطريقته وروافده التي اعتمد عليها.

كما أن هناك من راح يبدع فيه ليعبر عن أفكاره وأرائه وأحاسيسه ومشاعره، إلا أنها في الأخير لا ترقى إلى مستوى القصة القرآنية، لأن هذه الأخيرة لها خصائصها ومميزاتها، فهي عمل مستقل في موضوعه وطريقة عرضه، وإدارة أحداثه، كما لا ننسى أنها من كلام الله – عز وجل – الذي هو من أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة، وخالية من الغلو والمبالغة والخيال والتصنع والتكلف، فهي أنموذجا فريدا من نوعه، من حيث بنائها وأغراضها وخصائصها .

[1] – خالد أحمد أبو جندي :الجانب الفني في القصة القرآنية، منهجها وأسس بناءها، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، دت، ص128.

[2]. السيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، مصر، الطبعة الثانية، 1983، ص143.

وقد لجأ نفر من الكتاب إلى قصة كريمة من القصص القرآني المجيد، لتكون عملا فنيا يتيح للكاتب أن يعبر عن أفكاره الخاصة، في ظلال ما يبدع من الأحداث؛ ويحلل من الشخصيات؛ ويعلل من الاتجاهات، ولقد غرف كاتبنا " **توفيق الحكيم**" من هذا المنبع الصافي، والذي يعد من أبرز المنابع التي استقى منها مادته في أعماله المسرحية .

وتجدر بنا الإشارة أولا إلى نقطة هامة تتعلق بهذا المنبع، فمما نخاله معلوما هو أن توفيق الحكيم متشبع بالثقافة الغربية، حيث نجد ذلك ظاهرا في كثير من أعماله، ولعل أهم ما يجب التركيز عليه هو اعتماده على الأسطورة كمنبع من المنابع التي استلهم منها بعض أعماله، فكان علينا أن نطرح إشكالية مصطلح "الأسطورة الإسلامية" إذ نجد بعض النقاد والدارسين يطلقون على المعجزات والقصص القرآني هذا الاسم، ولعلهم أطلقوا هذه التسمية على أن أساس كل من المعجزات القرآنية والأساطير تتجاوز حدود الزمان والمكان، وتتجاوز حدود تصور الإنسان، وعلى الرغم من ذلك فليس هذا دافعا قويا لإطلاق هذه التسمية، فالفرق بينها شاسع، والهوة سحيقة، لأن المعجزات القرآنية وردت في كتاب سماوي منزه، والكل ملزم بتصديقها والإيمان بها، لأنها من معجزات الخالق –سبحانه وتعالى–، أما الأساطير فهي من نسيج خيال الإنسان، وهذه الأساطير قد تنضوي على جزء ضئيل من الحقيقة، ولكنها في إطارها العام تحتمل الصدق والكذب، وهذه الأفكار والمعتقدات من البديهي أن تقبلها العقلية الوثنية وتستسيغها، أما العقلية العربية المسلمة فقد تعجبها طرافتها، ولكن لا تؤمن بها ولا تستسيغها، وذلك لما تحمله من شرك وتعدد الآلهة وتجسيدها لما لا يمكن تجسيده.

وقبل التطرق من أن الحكيم قد اتخذ من القصص القرآني مصدرا لتشكيل مادته الإبداعية، حريّ بنا أن نشير إلى نقطة هامة من شأنها أن تساعدنا على إثراء هذا البحث، ألا وهي قضية موقفه من الدين ؟.

ففي ظل وجود الغرب المسيحي في قلب العالم العربي المسلم، وسيطرته على الفكر العربي، وهو أخطر بكثير من سيطرته بالسلاح، وهذا ما نخاله معلوما عند كل عربي ب"الغزو الثقافي"مما نشأ عنه الكثير من التيارات؛ كالتيار العلماني، والذي كان شعاره " فصل الدين عن العلم" محاولا حصر الدين على الأمور الروحية والعلاقة بين الإنسان وخالقه، داعيا إلى الأخذ بالحضارة الغربية، والنظرة العلمية المستندة على العقل، وفي مقابل هذا الاتجاه ظهر الاتجاه المحافظ والذي حاول إبراز تحديه لقوة التطور الحضاري الغربي .

وفي ظل هذا التضارب والجدال بين هذين التيارين، ظهر تيار ثالث غرضه التوفيق بينهما، وذلك بإيجاد صبغة وطابع إسلامي للحضارة الغربية، ليحدث بذلك توازنا بين الدين الإسلامي والفكر الغربي في حدود ما يقتضيه ديننا الحنيف، هادفا بذلك إلى تحقيق الازدهار والتقدم للأمة الإسلامية، وكان كل من "**جمال الدين الأفغاني** " و" **محمد عبده**" زعيمي هذا التيار، ولعل ما يتبادر إلى الأذهان في ظل هذه التيارات الثلاث هو:أين نجد موضع الحكيم منها؟

إن ما وصلنا إليه من خلال دراستنا، نجد تأثر توفيق الحكيم بالفكر الغربي العلماني،وتأثره بالحضارة الغربية، وخاصة في الفترة التي عاشها في باريس،والتي سافر إليها من أجل نيل درجة الدكتوراه في القانون، وفشله في إدراك بغيته، لكن رغم تلك القوة الجارفة التي كانت تجذبه إلى التيار العلماني القائم على الفكر الحر، إلا أن نظرته هذه لا تعارض فيها مع الاتجاه الديني،ولتوضيح موقفه أكثر نجده يستدل بآية من القرآن الكريم وهي قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [1]

فهذه الآية تحتوي على عنصري الإسلام:البشرية والألوهية، ولا شك أن الحكيم يعني ب"البشرية" حرية التصرف وحرية الفكر وهو فيما يرى جوهر العلمانية[2]

ومن هنا يمكن القول إن نظرة الحكيم إلى الدين لم تكن نظرة واحدة، بل نظرتين عامة وأخرى خاصة، أما الأولى فنظرته إلى جميع الأديان، فالدين بصفة عامة هو الذي منح للإنسان المكانة التي هو عليها، وأنزله منزلة رفيعة، وهذا الدين ضروري جدا للبشر، فهكذا كانت وجهة نظر الحكيم للدين، حيث تأثر فيها بالعلمانية الغربية، حيث صرح في كتابه "تحت شمس الفكر" قائلا: " ...وأن الحقيقة الدينية بعيدة عن وسائل العلم ودائرة بحثه، وأن العقل يستطيع أن يهدم الدين كما يشاء... فالتوفيق بين العلم والدين ضرب من العبث"[3] وهذا التصريح المباشر من الحكيم قد يثير الكثير من الدهشة لقارئه، إلا أنه يرجع ويقول عن شخص الرسول صلى الله عليه وسلم " ولئن كان على الأرض شيء حرص على أن يجاهر بمحبة العلم ومصادقته، ولم يخش دينه العلم ولم يضطهد العلماء فهو"محمد" الذي قال "فضل العلم خير من فضل العبادة" ، "واطلبوا العلم ولو في الصين" وكثيرا من الأحاديث التي تثني على العلم وتحض عليه"[4].

ومن هذا نستخلص موقفه الخاص من الدين، فهو يرى ضرورة الربط بين الدين الإسلامي والعلم، ولعل شخصية الرسول هي التي أثرت فيه، وجعلته يغير موقفه، هذه الشخصية الفذة التي جعلته لا يتردد في قول: " إني كلما تأملت شخصية "محمد" ثبت إيماني"[5] ، ثم لم يلبث أن وظفها في إحدى مسرحياته "مسرحية محمد" والتي استلهم مادتها من السيرة النبوية، وقد اعتمد في كتابتها على أمهات الكتب والمصادر الإسلامية.

[1] – سورة الكهف، الآية 110.

[2] – مصطفى هرارة : دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، 1990، ص280.

[3] – توفيق الحكيم: تحت شمس الفكر، دار مصر للطباعة، الفجالة ، دت، ص15.

[4] – المصدر نفسه، ص25.

[5] – المصدر نفسه، ص26.

وبعد هذه اللمحة الوجيزة عن موقف الحكيم من الدين، نعود إلى استلهام مادة نتاجه من الدين، وتوظيف القصص القرآني في أعماله الإبداعية، ولعل من بين الأعمال التي أشتهر بها الحكيم ولاقت استحسانا كبيرا من النقاد، هي "مسرحية أهل الكهف" والتي عالجت قضية أثر الزمن على الإنسان، وهذه القضية من أهم القضايا التي شغلت فكر الحكيم، فقد استلهم فيها ما ورد في القرآن عن أهل الكهف وقصتهم، لتكون مصدرا ينطلق منه لتشكيل مادته الإبداعية، وكانت من أول أعمال الحكيم التي وظف فيها النص الديني في مسرحه،؛ حيث عالج فيها ثنائية "الإنسان والزمن " وفق منظور فكري محض.

وبعد مطالعتنا لأعمال توفيق الحكيم المسرحية التي استقى مادتها من مصادر دينية، وكان حضور الدين واضحا جليا فيها، نجد "مسرحية أهل الكهف"و"مسرحية محمد" استقاهما من القصص القرآني ومصادر التراث الإسلامي، أما عن مسرحية "سليمان الحكيم " فقد استلهم مادتها من ثلاث مصادر : القرآن الكريم ،التوراة ، ألف ليلة وليلة ، والتي اخترنا أن تكون أنموذجا لبحثنا، فسنتطرق إليها بشيء من التفصيل، إلا أن ما يهمنا هو الحضور الديني في هذه المسرحية؛ من خلال الأحداث في القرآن الكريم ومقارنتها بالنص المسرحي الإبداعي؛ ودراسة الشخصيات الواردة فيها، حيث استغل الحكيم ما ورد في القرآن ليشكل نتاجا إبداعيا تمثل في مسرحية "سليمان الحكيم ".

وخلاصة حديثنا عن توفيق الحكيم، أن هذا الأديب الفذ انطلق من مصدر ديني ليشكل نتاجا إبداعيا مطبوعا بطابع عربي إسلامي، وقد أفاد أديبنا كثيرا من القرآن الكريم إفادة سجلتها أروع مسرحياته "سليمان الحكيم" والتي سنحاول دراستها وإبراز جوانبها الفنية والإبداعية، فما أروع أن يكون المصدر دينيا، وبصفة خاصة القرآن الكريم أعظم الكتب السماوية على الإطلاق .

الفصل الأول:

المسرح وتوفيق الحكيم

يعد المسرح فن عظيم، ولذلك فلا غرابة في أن يدعى أبا الفنون،شأنه شأن الشعر في الأدب، لما له من تاريخ عريق في حضارات كثير من الأمم، حيث حمل على كاهله معالجة الموضوعات التاريخية والاجتماعية والأسطورية والدينية، فذاع صيته ليملأ الدنيا من عهد "**اسخيلوس**" و"**يوربيدس**" وغيرهما، فلقد كان وما يزال نقطة محورية لانطلاق شرارات الثقافة والتطوير المجتمعي، والوصول بها إلى حال أفضل، حيث استطاع أن يصل موهبة الخلق الفني الغامضة بموهبة التلقي والاستقبال .

فالمسرح ليس مجرد وسيلة ترفيهية ترمي إلى التسلية والترويح فقط، بل تخطى دوره ذلك إلى وسيلة ذات مرام تهدف لنشر الأفكار والفلسفات المتعددة، فقد جاهد كتّابه وممثلوه في فترات عظيمة في اكتشاف نواحي الجمال فيه، أمثال شكسبير الانجليزي وموليير الفرنسي، ونهج نهجهم عند العرب توفيق الحكيم المصري وغيرهم .

ففن المسرح يعتمد في جوهره على حصيلة المعرفة في شمولها العام، وعلى قدرة الإنسان على الاكتشاف والتعجب والتأمل، فهو أقوى معلم للأخلاق،وخير دافع إلى السلوك الطيب، حيث أن المسرح يجسد مسارات الحياة ويعبر عما تعانيه المجتمعات من مشكلات وما يعتريها من ملمات، فيلتمس لها العلاج الشافي .

فما ماهية هذا الفن ؟ ومتى نشأ ؟ وما علاقة الحكيم به ؟ هذا ما نريد الإجابة عنه في هذا الفصل.

1)- ماهية المسرح ونشأته

أ- تعريف المسرحية:

المسرحية شكل أدبي يروي قصة من خلال حديث شخصياتها وأفعالهم، حيث يقوم ممثلون بتقمص هذه الشخصيات على خشبة المسرح، وبتعبير آخر أكثر دقة المسرح شكل من أشكال الفنون الأدبية يترجم فيه الممثلون نصا مكتوبا إلى عرض تمثيلي على خشبة المسرح، حيث يقوم الممثلون عادة بمساعدة المخرج على ترجمة الشخصيات ومواقف النص التي ابتدعها المؤلف، وهو فن عالمي قديم عرفته جميع الحضارات تقريبا .

وتختلف المسرحية عن**الملحمة*** **والقصة** **، حيث أنها لا تعتمد على السرد أو الوصف، بل تعتمد على الحوار، وهذا ما قصده "**أرسطو**" ***حين نص على أن محاكاة المسرحية للطبيعة إنما تتم عن طريق " أشخاص يفعلون إلا بواسطة الحكاية، وجوهرها الحدث أو الفعل، فأصل كلمة "دراما " باليونانية وهي اللفظة المرادفة للمسرحية هو "الحدث" أو "الفعل"، فالمسرحية تنبني على جملة من الأحداث ترتبط بعضها ببعض ارتباطا حيويا أو عضويا، بحيث تسير في حلقات متتابعة حتى تصل إلى النتيجة، يتطلب الكمال الفني أن تأخذ من الأهداف السابقة نفسها، وقد تكون الأحداث أو الأفعال إما داخلية وإما خارجية، الأولى تأثر في الشخصيات، وأما الثانية فهي تأدية الأشخاص في المسرحية، وذلك بتجاوبهم مع الأحداث الخارجية أو نفورهم منها، أما الأحداث الداخلية هي ذلك الصراع النفسي والمسلك الخفي، لأن المسرحية في جوهرها أحداث متتابعة منظمة خارجية مترابطة ترابطا وثيقا مع مسلك الشخصيات، بحيث تبرر هذا المسلك تبريرا مقنعا"[1].

ويعرفها "**الأروس نكول**"بقوله:" إن المسرحية تكون فقرة مقتبسة من الحياة ... ومعنى هذا أن هدف الكاتب المسرحي يجب أن يعطينا من فوق منصة المسرح صورة طبق الأصل؛ إما لمشهد قد يكون حدث بالفعل؛ وإما لشيء تخيله الكاتب في صورة تجعله مشابها لما يقع في الحياة.[2].

ومن هنا كان فن المسرحية أكثر فنون الأدب استعصاءا على كاتبه، وأشدها حاجة إلى مهارات فنية خاصة، حيث تستطيع أن تؤلف بين عناصر هذا الفن المتشعبة من قصة وممثل ومسرح وجمهور وحوار، وأن تخضع في غير افتعال

*-الملحمة: مشتقة من تضارب اللحم في الحروب،وهي فن قديم بلغ ذروته عند اليونان مع هوميروس (800ق م) في الإلياذة والأوديسا.

**-القصة: فن نثري يهتم بالمشكلات الإنسانية، كما تحتوي على عقدة يتم حلها بسرعة.

***-أرسطو: ولدفي شاجيرا في طرا قيا شمال اليونان (384.322ق م)من أثاره "فن الشعر" حيث يعد من أهم ما ألف في الأدب.

[1]-محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر،1998،ط1،ص134بتصرف.

[2]- عبد المنعم أبو زيد عبد المنعم: الخطاب الدرامي في المسرح الحديث، مكتبة الآداب، مصر،دت،ط1، ص04.

لقيود المسرح والتزاماته، وأن تتعاون كل هذه العناصر في غير تضارب أو تنافر حتى يصل الكاتب إلى عمل فني متكامل متناغم [1].

وخلاصة القول إن المسرحية عمل درامي مأخوذ من الحياة بروح فنية، يحتوي على حكاية قصيرة أو طويلة مترابطة الأجزاء، يقوم بتمثيلها أشخاص لهم سمات اجتماعية ونفسية خاصة تتناسب مع طبيعة الحكي، حيث تعتمد المسرحية على لغة الحوار أكثر من السرد في جميع مراحل تطورها، وعادة ما تتسم بمحدودية المكان،وبزمنية مكثفة كما ودلالة .

ب . نشأة المسرح:

✓ **المسرحية في الأدب الغربي:**

إن أقدم المسرحيات التي عرفها الأدب الغربي هي المسرحيات الإغريقية، وكان لنشأتها في بلاد اليونان علاقة وطيدة بعقائدهم، حيث آمن الإغريق بآلهة متعددة، وذلك لما رأوه من تعدد مظاهر طبيعة بلادهم وكثرة تغيرها، فتوهموا أن هناك قوى خفية وراء هذه المظاهر، فقدسوها وتملقوها بالقرابين والعبادة، حيث نجد من بين الآلهة التي قدسوها "**يونيسيوس**"*أو "**باخوس**" اله النماء والخصب، وقد اعتادوا أن يقيموا له حفلين،أحدهما في أوائل الشتاء بعد جني العنب وعصر الخمور، وقد كان يغلب على هذا الحفل المرح، حيث تنشد فيه الأناشيد الدينية، وتعقد له حلقات الرقص وتنطلق فيه الأغاني، ومن هذا النوع نشأت**الملهاة** ** .

وأما الحفل الثاني فكان يقام في أوائل الربيع، حيث تكون الكروم قد جفت والطبيعة تجهمت، وهو حفل يغلب عليه الحزن ومنه نشأت **المأساة***.

ولقد كان المسرح أول الأمر لا يتجاوز عن بعض الرقص والأناشيد والأغاني، التي تعبر عن حزنهم لغياب الإله، والابتهال إليه إذ يعود ثانية، ثم مثّل شخص"**يونيسيوس**" فكانت الجوقة تشير إليه وهو على مسرح مرتفع، ثم أدخل الحوار بينه وبين الجوقة، وبعدها شخصيات أخرى يرد ذكرها في الأغاني والأناشيد، وكان الممثلون يظهرون وسط قومهم على هيئة البشر في نصفهم الأعلى وصور الماعز في نصفهم الأسفل، ومن هذا اشتقت لفظة "تراجيديا" أي المأساة وهي مركبة من كلمة "أغنية" وكلمة"الجدي" تركيبا مزجيا.

[1] . محمد زكي لعشماوي : أعلام الأدب العربي الحديث ، دار المعرفة الجامعية،مصر، 2005، ط1، ص277.

*- يونيسيوس:وهو كما تصفه الميتولوجيا الإغريقية اله ريفي يرعى الخضرة، ويحمل لقب راعي الأشجار، ويمثل كافة قوى الإخصاب في الطبيعة.

**- الملهاة: تمثيلية جادة تثير المرح والضحك في النفوس، ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد عند أرسطو فان.

***- المأساة: تمثيلية جادة تثير في النفس الرحمة والخوف والغضب، وتصطبغ بجو من الحزن وتغلب عليها العواطف.

وأخيرا وضع "**اسخيلوس**"(525.456ق م) أول مسرحية شعرية "الضارعات" وكان فيها ممثلان رئيسيان بجانب الفرقة، ثم توالى نتاجه المسرحي إلى أن ظهر"**سوفوكليس**"*

حيث أضاف ممثلا ثالثا إلى جانب الممثلين اللذين أدخلهما "أسخيلوس"، وقوّى جانب التمثيل على جانب الغناء، وقد أدى هذا كله إلى تقدم جانب الحوار المسرحي بدل ترانيم الجوقة، وأتاح فرصا أكبر للتباين بين الأشخاص وسمح بألوان متنوعة من الحوادث[1].

ثم خطا "يوريبيدس" خطوات أخرى في إضفاء الصبغة الإنسانية والطابع الأقرب إلى الواقع على المأساة، فبرع أكثر من سابقيه في تصور العواطف الإنسانية، وجعلها محورا لأهمية المسرحية بدلا من القدر، ثم برزت شؤون الحياة اليومية في مسرحياته وهاجم الآلهة الوثنية[2].

وارتبطت المسرحية في العصور الوسطى وعصر النهضة على المسحة الدينية نفسها، فكانت موضوعاتها مستمدة من الإنجيل تحكي ميلاد عيسى، أو حكايات القدسيين أو قصة قابيل وهابيل...

وعلى الرغم من ذلك فقد تأثرت في كثير من نواحيها الفنية وفي صياغتها بالمسرحيات اللاتينية، فقد كانت اللاتينية لغة الكنيسة، كما تأثرت بعض التأثر بالمسرحيات اليونانية من خلال مسرحيات اللاتينيين[3].

ويمكن أن نعرج قليلا على تطور المسرحية في هذه العصور، فالمسرح الانجليزي كانت بدايته بطقوس العبادة، حيث كان يعرض داخل الكنيسة وما يحول بداخلها من موسيقى وغناء وموكب القس محفوفا بالشموع، ثم تخرج هذه التمثيليات إلى خارج الكنيسة في عيد الميلاد وفي الأعياد الدينية، وقد كانت السمة الغالبة عليها الجد والعظة، ثم أدخل على موضوع المسرحية الدينية شيئا من الأخلاق، كالعدل والسلام والصدق والكذب، وأخيرا استقلت المسرحية الخلقية عن مسرحية المعجزة، حينما استطاع الناس قراءة التوراة والإنجيل بأنفسهم.

فالمسرح الانجليزي على الرغم من أنه نشأ دينيا – في أول الأمر– إلا أنه مدين للمسرح الإغريقي بالشيء الكثير، وإن لم يتصل بالأدب اليوناني اتصالا مباشرا، وإنما عن طريق المسرح اللاتيني .

أما المسرحية الرومانية التي لها كبير الأثر في المسرحيات الأوربية الحديثة في فرنسا وايطاليا وانجلترا، فقد كانت تقليدا للمسرحية اليونانية، إذ سطا الكتّاب الرومانيون على الأدب الإغريقي ينهبونه نهبا، ولعل أول من اشتهر من كتّاب

*– سوفوكليس: شاعر يوناني كبير (495.416ق م).

[1]– عمر الدسوقي : المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها، دار الفكر العربي، مصر،1970،ط5،11،8،7،6بتصرف.

[2]– محمد غنيمي هلال:الأدب المقارن،ص136.

[3]– المرجع نفسه،ص138.

الرومان في الأدب المسرحي اثنان من أصحاب الملهاة هما "بلوتس" و"ترنس" وإليها يرجع الفضل في إحياء بعض الملاهي الإغريقية التي عفا عنها الزمن.

أما في فرنسا فقد حذا الأدباء حذو الرومان والإغريق في فن المسرحية، وتتلمذوا على "هوراس" الروماني في نقده، ولكن معظم تأثرهم كان بكتاب "فن الشعر" لأرسطو، وما يدور حوله من شروح، وإن لم يتصلوا به اتصالا مباشرا، ولكن من خلال التراجم الايطالية، واستطاعوا أن ينشئوا في ثلاثين عاما (1630.1660م)مذهبا مفصلا متلاحم الأجزاء، ألا وهو المذهب الكلاسيكي، حيث يعتبر الناقد الكبير "بوالو" مشرع هذا المذهب في كتابه"فن الشعر" وقد اشتهر من زعماء هذه المدرسة ثلاثة " **كورني*** ، **راسين**** ، و**موليير***** " فقد كانوا يلتمسون موضوعات مسرحياتهم من مخلفات الأدبين الإغريقي واللاتيني، وإن استمدوا الوحي والتصوير والتحليل الخلقي الاجتماعي من عصرهم،وكما تأثرت هذه المدرسة في موضوعاتها بالأدب الإغريقي؛ تأثرت في قواعدها بهذا الأدب لاسيما في قانون الوحدات الثلاث "الموضوع، الزمان،المكان" كما بسطه أرسطو .

ومن كل ما سبق يمكننا القول بأن اليونان هم أول من اهتم بفن المسرح، ووضعوا له نظاما خاصا، ونضّروا قواعده، وعنهم أخذ العالم هذا الفن.

✓ . المسرحية في الأدب العربي:

أما المسرحية في أدبنا العربي فالحق أنها لم تتأثر لا في نشأتها ولا في تطورها بشيء من المسرحيات الفرعونية على فرض وجود تلك المسرحيات تاريخيا فيما يقول به بعض الباحثين، استنتاجا من نصوص أساطير دينية متفرقة في صورة حوار، فعلى فرض تمثيل الأساطير الدينية الفرعونية في القديم، ليس لدينا دليل على أن المسرح عند القدماء المصريين قد تجاوز النطاق الديني المحض إلى مسائل الإنسان ومشاكله على النحو الذي عرف عند اليونان منذ نشأة مسرحياتهم بعد انفصالها عن الشعر الغنائي الديني...

فيمكن القول إن التمثيل الفرعوني لم يتوفر على الطابع الإنساني الذي يصير به جنسا أدبيا يمكن أن يؤثر فيما سواه، على أن الثابت بعد ذلك أننا لم نرث شيئا من هذا التمثيل لتتأثر به مسرحياتنا العربية، إذ كانت قد

---

* .كورني (1606.1684م)كاتب تراجيدي فرنسي ويلقب بأبي المأساة.

**- جان راسين(1639.1699م) يعد من أبرز كتاب المسرح الفرنسيين إتباعا لقواعد الكلاسيكية.

***- موليير(1622.1673م) كاتب فرنسي هزلي كبير ، سعى لتهذيب الأخلاق.

انقطعت صلتنا بمصر القديمة، بانتشار المسيحية أولا؛ ثم بالفتح العربي وانتشار الإسلام، الذي أصبحت به مصر عربية في ثقافتها وحضارتها[1].

ولعل من تتبع تاريخ مصر يلاحظ أن مصر كانت ثورة للثقافة اليونانية لمدة عشرة قرون كاملة، ومن هنا كان متوقعا أن تنتشر بين المصريين لغة الإغريق، ولكن شيئا لم يحدث فقد ظل المصريون في بؤس مادي يبغضون الإغريق، وانقضى ذلك بفتح العرب لمصر، ومن المعروف أن العرب هم الذين نقلوا فلسفة اليونان إلى مصر، وبخاصة فلسفة أرسطو، حيث درسوها ثم أعادوها إلى أوروبا الوسطى، فالأدب المصري قد انفصل عن التفكير الإنساني والحياة الإنسانية بمعناها العميق، إلى أن جاءت سنة"1897" فبدأت النوافذ تفتح على العالم الحي، وبدأت القراءة والترجمة والبعثات على يد "رفاعة الطهطاوي" واتصال مصر بالثقافة الأوروبية، مما نتج عنه تغيير النظرة إلى الحياة الروحية والثقافية.

والواقع أن الأدب العربي منذ فجر تاريخه حتى منتصف القرن الماضي لم يعرف نوع التأليف المسرحي، ولا عرف المسرح الفني في وقت من الأوقات، حتى إبان نهضتهم الحضارية في ظل بني العباس وفي ديار الأندلس الزاهية، وجل ما عرف العرب بعض مظاهر التمثيل الشعبي التي يرد ذكرها في تواريخ الأدب، وبعض الشذرات الشعرية المنقولة من مجامع الأدب، وهي مظاهر تمثيلية بدائية مرتجلة تفتقر إلى الصناعة الفنية تأليفا وتمثيلا، لا يصح اعتبارها – على أي حال من الأحوال – أعمالا فنية أصيلة، ولعل أمثال هذه المظاهر؛ ما كان يحدث في التعازي عند فارس، والكاراكوز في الابراطورية العثمانية، والأغاني الممثلة بالحركات، فليس لها علاقة بعيدة بالمسرح كما نفهمه بمعناه العصري، فهذه العروض لم تساهم إلا بقدر محدود جدا بتكوين المسرح العربي، والذي بقى غريبا على الحضارة الإسلامية حتى منتصف القرن التاسع عشر[2].

وهكذا لا يمكن اعتبار هذه المظاهر بدايات لظهور المسرح العربي.

ولعل من بين الأسباب التي ذهب إليها النقاد والدارسون في عدم تمكن هذا الفن عند العرب، هو أن الاتجاه الغالب على أدب العرب هو الغنائية، وذلك لتوافر ظروفها النفسية والوضعية والتاريخية في ذات الشاعر العربي ومجتمعه، لذا انصرف العرب إلى الأدب الغنائي، فأبدعوا فيه وقصروا في إنتاج الملامح والمسرحيات.

[1]– محمد غنيمي هلال، المرجع السابق،ص140.

[2]– محمد عزيزة: الإسلام والمسرح، ترجمة رفيق الصبان، عيون المقالات، دار قرطبة، 1988،ط2،ص153.

ومما ذهبوا إليه أن العمل التمثيلي يقتضي ظهور المرأة على المسرح، مما لا تسمح به التقاليد الاجتماعية، فكان سببا من جملة الأسباب الوضعية التي أسهمت في إبعاد العرب عن هذا النوع من الفن.

ولهذه الأسباب وغيرها بقي المسرح غائبا عن جملة الفنون الأدبية الرائجة التي عرفها العرب خلال العصور الماضية.

وظلت الحال كذلك إلى أن هبت ريح النهضة بهبوب رياح السياسة التوسعية الأوربية على الشرق العربي، مع حملة"نابليون"على مصر،باذرة في وجهها الايجابي في الشرق بذور العلوم والفنون، ومن بينها بذور الفن المسرحي[1].

وهكذا تهيأت الظروف لميلاد هذا الفن عند العرب، وقد كان السبق الأول في ميدان المسرح العربي ل"مارون النقاش" حيث بدأ بتكوين ثقافته حول هذا الاكتشاف؛ بقراءة عدد كبير من الأعمال المسرحية الانجليزية والفرنسية، ثم قرر أن يكتب باللغة العربية الفصحى كوميديا مقتبسة؛ ألا وهي مسرحية"البخيل" لموليير التي ترجمها وأعدها بتصرف مبتكر.

وبهذا كان أول عمل مسرحي عربي تأليفا وتمثيلا، معلنا ولادة المسرحية العربية، و"**لمارون النقاش**" أعمال فنية أخرى متمثلة في مسرحيتان هزليتان واحدة بعنوان"**أبي الحسن المغفل**"أو"**هارون الرشيد**" والثانية بعنوان"**السليط الحسود**".

ولقد جاء إلى مصر في أواخر القرن التاسع عشر جماعة من كتاب المسرح، منهم"سليم النقاش ويوسف الخياط" وقدموا مسرحيات في القاهرة والإسكندرية، معظمها مترجم عن الفرنسية الكلاسيكية، مثل مسرحية"أندروماك"و"فيدر" ومسرحية"هوراس".

وقد استمرت المسرحيات السابقة وسواها تقدم للجمهور مع إضفاء الطابع الغنائي عليها مع تغيير في أسمائها بما يتفق مع الذوق العربي، حتى ظهرت مسرحية"مصرع كليوباترا" لأحمد شوقي سنة ألف وتسعمائة وعشرون ميلادي، فكانت بداية الفن المسرحي الصحيح بلغة رفيعة، وتطور في كثير من الجوانب الفنية، وبدأ يتوالى ظهور نوابغ التأليف المسرحي، يتقدمهم شيخهم"توفيق الحكيم" وقد نجح هذا الأخير في مهمته بسبب تمكنه من الثقافة الغربية وإتقانه اللغة الفرنسية، حيث لقيت مسرحياته نجاحا منقطع النظير.

[1]- ميشال عاصي:الفن والأدب، بحث في الأنواع والمدارس الأدبية والفنية، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1970، ط2، ص178.

ومن هنا يمكن أن نعتبر كل من "توفيق الحكيم" و"أحمد شوقي" الجناحان الأساسيان اللذان طار بهما المسرح العربي الحديث إلى أفاق أخرى، حيث برع الحكيم في المسرح النثري؛ وبرع شوقي في المسرح الشعري، وبما أن موضوع بحثنا حول أب المسرح العربي الأستاذ"توفيق الحكيم" فسنركز في خطوات البحث على مسيرته الفنية في المسرح العربي، فماذا عن اتجاه توفيق الحكيم في المسرح ؟.

2)- مسرح توفيق الحكيم:

أ -توفيق الحكيم الحياة والسيرة:

ولد توفيق إسماعيل الحكيم بضاحية الرمل، بمدينة الرمل الإسكندرية عام 1903م، لأب من أصل ريفي من طبقة الفلاحين، وأم من أصل تركي كانت بنتا لأحد الضباط الأتراك المتقاعدين،ولما بلغ سن الدراسة التحق بمدرسة "دمنهور" الابتدائية، أكمل تعليمه الابتدائي عام 1915- 1916،ثم درس سنتين في القسم الإعدادي؛ حيث نال البكالوريا المصرية سنة1922، وكانت حياته في هذه المرحلة شاعرية خيالية تميل للفنون والآداب، إلا أن والده أجبره على دراسة الحقوق، ولم يكن أمام توفيق الحكيم إلا أن يرضخ لإرادة أبيه ويدرس الحقوق، وقد كان طالبا عاديا لا ينم عن ذكاء واقتدار، لأن نفسه لم تكن تشعر برغبتها في الانكباب على الدراسة القانونية،وفي عام 1925م نال الطالب توفيق الحكيم إجازة اللسانس[1]، ثم انتقل إلى باريس حيث قضى فيها أربع سنوات ، وبمجرد عودته وظف في سلك النيابة، ثم انتقل مديرا للتحقيقات بوزارة التربية الاجتماعية، وقد اشتغل في عدة مناصب حيث عين رئيسا للهيئة العالمية للمسرح وعضوا بالمجمع اللغوي.

"توفيق الحكيم" هذه الشخصية الفذة؛والتي استطاعت بتفكيرها وأرائها أن تغمر رفوف المكتبة العربية والعالمية بالكثير من المسرحيات والروايات التي استحوذت على مكانة في قلب القراء.

انتقل "الحكيم" إلى الرفيق الأعلى في يوم الأحد السادس والعشرين من شهر يوليو عام ألف وتسعمائة وسبعة وثمانين، وبرحيله فقدت مصر والعالم العربي؛ بل والإنسانية كلها، علما شامخا من أعلام الفكر والأدب والفن، بعد أن أثرى الحياة الأدبية والفكرية والفنية بالعديد من المؤلفات التي ستضل خالدة على مر الأجيال، تنهل الإنسانية من نبعها الثري، بلغت نحو مائة مسرحية، واثنين وستون كتابا[2].

حيث ترجم من أعماله ومؤلفاته الكثير إلى"الفرنسية، والايطالية، والانجليزية، والاسبانية" وقد امتازت أعماله بكثرتها وتنوعها وانعكاساتها على أوضاع عصره، وانشغالاته في الحياة بصدق وإخلاص.

---

[1]- إسماعيل أحمد ادهم: أدباء معاصرون، دار المعارف، مصر، 1985،ط2،ص130.

[2]- عبد المطلب محمد السيد الحديدي: صورة المرأة في مسرح توفيق الحكيم، دار السعادة للطباعة، مصر، 1988، ط1، ص54.

ب . تأثير المسرح الغربي في مسرح الحكيم:

لقد تمكن الحكيم من اللغة الفرنسية، والتي كانت وسيلة لتعمقه في الآداب الفرنسية، ودراسته للمسرح الفرنسي، الذي وطّد ركائزه آنذاك، وتعرف على المسرح اليوناني القديم أيضا إثر قراءته لكتاب "الموتى"، وليست القراءة العامل الوحيد لتكوين هذه الثقافة، وذلك الحس النقدي فيما بعد، ولكن كانت هناك عوامل أخرى ساعدت على تفتحه الذهني، وذلك باتصاله بكتّاب ونقاد وفنانين من ذوي الخبرة مما زاده خبرة، وحقق له امتلاك حسي وفني ونقدي؛ ساعده على الحكم على الأشياء بذوق رفيع ونظرة عميقة.

فقد غاص الحكيم في أعماق الثقافة اليونانية التي تعد الأساس الأول الذي يستقي منه جل الدارسين نظرياتهم الفلسفية والأدبية والفنية، وقد وصل الحكيم أن جذور "التراجيديا" تكمن وراء أسرار المعرفة في هذا الأدب القديم، فتوجه إلى هذا المعين، وعكف على دراسته، دراسة دقيقة ظهرت جلية واضحة في نتاجه بعد ذلك.

ولقد كانت أوروبا تمثل الجمال الفني في أعلى صوره في فكر الحكيم، فلقد بهرته باريس بثرائها، كما أدهشته بأضوائها وأنوارها، فكانت باريس منعرجا ذو أهمية كبيرة في تغيير خط سيرة الحكيم في كتاباته للكوميديا الهزلية، وانتحى طريقا آخر بالرغم من بقاء تلك الأنواع الفكاهية المنتشرة هناك، فالدراما كفن أدبي لم تكن امتدادا طبيعيا لتراثنا الأدبي بل هي نقطة التقاء بحضارة الغرب الفنية، حيث كان لقاؤنا بالدراما الأوروبية لقاء التأثر لا لقاء التفاعل، وبهذا كان مسرحنا انعكاسا للمسرح الغربي، ولعل ثقافة الحكيم هذه، أدت به إلى ريادة المسرح المصري، حيث أخذ مادته الخام من مصر بروحها وفكرها وفرض عليها شكلا خاصا، حيث جاءت " أهل الكهف" مزيجا من عناصر الدراما الأوروبية، وذلك بمجرد اختياره المسرح شكلا أدبيا لخلو مصر من هذا الفن.

وكذلك تأثر الحكيم ببعض اتجاهات الأدب العالمي، وخاصة في فترة إقامته بباريس وما تلاها، فمن المؤكد أن قراءته ومشاهدته لروائع المسرحيات العالمية، والتي تقوم على التفسيرات المختلفة للأساطير القديمة، وهي التي أوحت إليه بأن يتجه نحو الأساطير القديمة والقصص الدينية أو الشعبية، ليعالج بواسطتها بعض قضايا الحياة الإنسانية العامة التي شغلته، مثل قضية الصراع بين الإنسان والزمن، أو الصراع بين العقل والقلب، أو بين الحقيقة والواقع.

ومن هنا فقد ترك المسرح الغربي الأثر الكبير في نتاج الحكيم، وهذا ما نلمحه في كثير من نتاجه، حيث يمكن أن نرصد بعض مظاهر تأثر الحكيم في فنه المسرحي بنماذج مسرحية في الأدب الغربي، ولا ينقص ذلك بالطبع قيمة نتاج الحكيم؛ بقدر ما يظهر ثراء الروافد وضرورة اللقاح الفكري، وحتى يكون كلامنا هذا صوابا، ارتأينا أن نورد نماذج من نتاج الحكيم التي تأثر فيها بالمسرح الغربي، ففي مسرحية الحكيم" رحلة إلى الغد" نجد هناك ترسبات فكرية من مسرحية"

الماكينة الجامعة" ل"**ألمر راسين**" فنجد شخصا هو المستر"زيزو" الذي يعود إلى الأرض من جديد فيقدمون له حسناء شقراء لتصاحبه في رحلته إلى الأرض، مما يذكرنا بالفتاة الشقراء التي صاحبت المهندس بعد عودته إلى الأرض في مسرحية الحكيم.

وكذلك تأثره بموقف" جاليليو" في مسرحية"بريخت" وذلك في موقف "المهندس" الذي يرى أن الغاية تبرر الوسيلة حين يقول مخاطبا الطبيب" ثق أني لم أرد ارتكاب تلك الجرائم ولكنها الرغبة في انجاز مشروعي، هذا المشروع الذي لو تحقق لعاد بالخير على عدد كبير من الناس" فهو يشبه موقف "جاليليو" الذي يستولي على غير وجه حق على اختراع "هولا ندي" ويدعيه لنفسه، من أجل الحصول على المال الذي يهيأ له إتمام بحوثه [1].

وعلى الرغم من تأثر الحكيم بالمسرح الغربي، إلا أنه ليس صورة معكوسة في المرآة، بقدر ما هو تمثيل فكري ناضج ترسبت عصارته في ذهن الحكيم، فخلق صورة جديدة لها مرآتها الخاصة، وإن تكن القرابة قائمة، حيث تميّز في مسرحه بالدّقة وحسن المعاني والدلالات، والقدرة الفائقة على التصوير، فهو يصف في جمل قليلة ما قد لا يبلغه غيره في صفحات طوال[2].

ولعل المتصفح لنتاج الحكيم يجده مع كونه متأثرا بالثقافة الغربية إلاأنه استلهم في كثير من نتاجه المسرحية منها والروائية موضوعات من الأدب العربي، فنهل من تراثه الضخم في كثير من أعماله.

ج . تأثير توفيق الحكيم على المسرح العربي:

لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يذكر المسرح العربي أو بداياته؛ حتى يتبادر إلى الأذهان أديب فذ خدم المسرح المصري بل والعربي أجل خدمة، وارتفع بنتاجه الأدبي عن كل من سبقه في التأليف المسرحي المنثور، الأستاذ توفيق الحكيم الذي أغرم بالمسرح وهو ما يزال طالبا في المدارس الثانوية، واستمر ولعه به حتى وهو طالب في الحقوق، إذ أننا أمام كاتب كبير، شغف بالمسرح الذي ارتبط اسمه به أو اسميهما ببعض، فوضع له عددا كبيرا من المسرحيات القصيرة ذات فصل واحد، والتي جمعها في مجلدين اثنين، أما الأول الموسوم ب"مسرح المجتمع" والذي جمع فيه واحد وعشرون مسرحية، وأما الثاني الموسوم ب" المسرح المنوع" والذي يحتوي على نفس العدد من المسرحيات كما أن له مسرحيات طويلة من أهمها مسرحية"محمد" وهي أطولهم، ومسرحية" أهل الكهف" و"الأيدي الناعمة" و" الملك أديب" وغيرها.

[1]- رجاء عيد: قراءة في أدب توفيق الحكيم، منشأة المعارف، الإسكندرية،دت، ط2،ص178.

[2]- إسماعيل أحمد أدهم:مرجع سابق، ص130.

ونظرا لتنوع الأشكال التي وظفها الحكيم ليعبر من خلالها عن ذاته وأفكاره، عرفت أعماله الأدبية مختلف الاتجاهات، فتارة نجده يتعرض لقضايا اجتماعية وهو ما عرف ب"مسرح المجتمع"، وتارة يتناول قضايا متنوعة وهو ما عرف ب"المسرح المتنوع"، وأخرى نجده يجول في دنيا المطلقات المجردة متناولا قضايا ذهنية وهو ما اصطلح عليه بالمسرح الذهني[1].

فهذا الأديب العملاق الذي ترك بصماته في تاريخ المسرح العربي، قد تنوعت أعماله الإبداعية، فأحيانا نجده يسهب في الحديث عن القضايا الاجتماعية التي تشغل باله، وأحيانا أخرى ينوع فيما يعرضه من قضايا، أو تكون أفكارا ذهنية مجردة.

أما المسرح الاجتماعي فمعظم مسرحيات المجتمع التي كتبها من نوع الكوميديا، وهو النوع الذي يستخدم عادة في نقد العيوب، والأخلاق الاجتماعية، ويحاول أن يصلح تلك العيوب ويقوّم تلك الأخلاق، بواسطة إثارة الضحك والسخرية منها، ويتضمن هذا النوع مسرحيات قصيرة منها ما هو اجتماعي ومنها ما هو منوع مثل: "سر المنتحرة، الأيدي الناعمة، المرأة الجديدة، رصاصة في القلب...الخ.

ومما يلاحظ في هذه المسرحيات أنها تتعدد فيها الأهداف والأساليب، ففيها الجدّي والفكاهي، وفيها ما كتب بالفصحى وما كتب بالعامية، وفيها النفسي والاجتماعي، والريفي والسياسي، وهذا ما ذهب إليه "عمر الدسوقي" في قوله"ولتوفيق الحكيم عدد كبير من المسرحيات الصغيرة، ضمنها حتى الآن مجموعتين إحداهما مسرح المجتمع والآخر المسرح المنوع"[2]

وبمعنى آخر فالذي يراجع تجارب الحكيم في الستينيات يلحظ ولا شك "مدى اقترابه وابتعاده عن واقع المتغير الاجتماعي، أي تردده بين الاجتماعية والذهنية والتجريبية أحيانا، ففي الوقت الذي تصدر فيه مسرحية"طعام لكل فم" في 1963م، ومسرحية" الورطة" سنة1966م، نجده يصدر مسرحية" السلطان الحائر"سنة1960م،و"مصير صرصار"1966م و" يا طالع الشجر"في 1962م، وهي ولا شك قدرته على التنوع الفني المطلوب، ولكن الشيء الغالب الذي لا يمكن إغفاله هو سيطرة الذهنية الكاملة على مسرحه، مهما كانت محاولاته التجريبية أو ترددات الاجتماعية"[3].

[1]- شكري غالي: ثورة المعتزل، دراسة في أدب توفيق الحكيم، مكتبة الانجلوالمصرية، القاهرة،1966، ط1،ص09.

[2]- عمر الدسوقي: المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها، مرجع سابق،ص33.

[3]- حلمي بديع: فن المسرح، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2003، ط1، ص102.

وعلى الرغم من أن مسرح المجتمع والمسرح المنوع هو الذي يصلح للعرض على الجمهور عرضا ناجحا، ذلك لأنهما يعرضان لوحات منتزعة من واقع حياة هذا الجمهور، كما أن الحركة المسرحية متوفرة فيها في الغالب الأعم،وذلك خلافا لمسرحياته الذهنية التي ربما كانت أكثر صلاحية للقراءة منها للتمثيل، لذلك فقد سماه هو بنفسه " المسرح الذهني" وحلل أهم مبادئ هذا النوع من المسرح في مقدمة " بجماليون" وعرفه بقوله"إني اليوم أقيم مسرحي داخل الذهن، وأجعل الممثلين أفكارا تتحرك في المطلق من المعاني مرتدية أثوابا من الرموز، إن المفاجأة المسرحية لم تعد في الحادثة بقدر ما هي في الفكرة"[1].

فلقد جعل الحكيم الفكرة هي النواة التي يدور عليها عالمه الفني، إلى جانب الرمز والخيال، ويتضح هنا أن الحكيم يعلن عن طبيعة مسرحه الذهني، حيث تعد الفكرة هي الركيزة الأساسية فيه، وهذا لا يعني تجريدها من علاقتها فيقول" المسرح الفكري تقليدي في بنائه، وفي رسم شخصياته ومنطق هذه الشخصيات والحوادث التي تتحرك فيه، ولكن العنصر المميز للمسرح الفكري هو أن ما يشغل الشخصيات ليس موضوعا عاطفيا أو نزاعا ماديا، بقدر ما هو قضية فكرية، هذا ما نجده في مسرح ابسن وبيراندللو،وبراندشو،وجبدوطوستريندبرج، وسارتر، وكامي وشكسبير على حد ما في هاملت"[2].

فالحكيم يرى أن المسرح لا يقتصر على تقديم المتع الحسية الرخيصة البعيدة عن المتع الفكرية لذا فهو يعلن ل"**ألفريد فرج**" فيقول" حتى تشيكوف وهو يعرض الحياة على المسرح، بل في قصصه فإن فكرة الاجتماعي والفلسفي والإنساني هي العصارة الخصبة التي تجري داخل أعماله وأشخاصه، وما من عمل فني عظيم على الإطلاق إلا وكان الفكر نخاعه، بدون فكر يصبح كل عمل فني إمتاع رخيص[3] .

بالإضافة إلى نقطة مهمة والتي كثيرا ما وردت من قبل الحكيم حين كتب أولى مسرحياته الذهنية، والتي تتمثل في إعلانه بأن هذا النوع من المسرحيات " تصلح للقراءة فقط ولا تصلح للتمثيل على خشبة المسرح على الوجه الذي ألفه أغلب الناس"[4] ، فالحكيم جعل من مسرحياته أساسا للقراءة وتوصيل الفكرة لعقول أو أذهان الناس لا غير، لأن مسرحياته تعتمد على الفكر بالدرجة الأولى، ومن هذا المنطلق يذهب الحكيم إلى تحديد هدفه في مقدمة مسرحية بجماليون" منذ نحو عشرين عاما كنت أكتب للمسرح بالمعنى الحقيقي، والمعنى الحقيقي للكتابة للمسرح هو الجهل بوجود المطبعة، لقد كان هدفي وقتئذ في رواياتي هو ما يسمونه المفاجأة المسرحية... واليوم إني أقيم مسرحي داخل الذهن أجعل

[1]- توفيق الحكيم:بجماليون، مكتبة الآداب، القاهرة، دت، ص109.

[2]- توفيق الحكيم: ملامح داخلية، حوار أجراه ألفريد فرج مع توفيق الحكيم، دار الشروق للنشر والتوزيع، مصر، 2007، ص106.

[3]- المصدر نفسه:ص106.

[4]- توفيق الحكيم: بجماليون،ص11.

الممثلين أفكارا تتحرك في المطلق من المعاني مرتدية أثواب الرموز...لهذا اتسعت الهوة بيني وبين خشبة المسرح...لأن الناس يتأثرون دائما بالعواطف التي يحسونها في حياتهم الواقعية...لكن ماذا هم يشعرون أمام صراع بين الإنسان والزمن، وبين الإنسان والمكان وبين الإنسان وملكاته؟...هذه الأشياء المبهمة والأفكار الغامضة، أتصلح لهز المشاعر بقدر ما تصلح لفتق الأذهان؟"[1] .

ومن هنا يكون الحكيم قد حول مساره المسرحي من مسرحيات قابلة للتمثيل إلى كونها لا تصلح إلا للقراءة، أو تحفظ بين جنبات الكتب، كما أنه يؤكد أنه لم يضع في حسبانه إمكانية تمثيل هذا النوع من المسرحيات، فالكاتب عندما يفكر في المسرح يعرف تماما أي المواقف التي تحدث تأثيرها في الجمهور، ويدرك بالضبط طريقة تكوين الشخصيات بالأسلوب الذي تبرز به أمام المتفرجين فيقول في ذلك " لم أفكر في طبع أي مسرحية من المسرحيات التي كتبتها، لأن المسرحية التي تنجح في التمثيل قد لا تنجح في القراءة، في حين أنني عندما كتبت مسرحياتي الأخرى لم أفكر بالمسرح، ولا بأنها ستتجسد على مسرح معين، كنت أعلم جيدا أن مصيرها إلى المطبعة، وإنني أخاطب القارئ لا المتفرج"[2] .

إن هذا التغيير في مسار توفيق الحكيم المسرحي كان الدافع الأساس فيه هو البحث عن مسرح هادف.

ولقد تعرض الحكيم في هذا التغيير للمسار المسرحي إلى نقد شديد، واتهم بضعف الحركة وفتورها، حتى رأى فيه بعض النقاد أنه مجرد مناقشة حوارية لا تصلح للتمثيل.

وعلى الرغم من ذلك النقد الذي وجه للحكيم فان الحكيم قد خرج عن المألوف في فن المسرح، والذي كتب أساسا ليمثل على خشبة المسرح ويحول أبطالها إلى أشخاص حقيقيين يتحركون ويصدرون أصواتا،فيتفاعل معهم الجمهور، ليصبح بعدها قصة محبوسة في أوراق، ليس بمقدور كل قارئ لها أن يفهم مقصودها أو يستخرج دلالاتها أو يحل رموزها.

ومما لا شك فيه أن نتاج الحكيم حقق الكثير من النجاح مما كان يطمع فيه ويطمح إليه، فقد أخرجت مسرحياته الذهنية في أشهر المسارح، لأن مسرحه الذهني بلغ حد النضج، فاستطاع بذلك الخوض في غمار التجربة المسرحية الإنسانية، فالمسرح الذهني عنده هو المنفذ الوحيد للنهوض بالمسرح في مصر خاصة والعالم العربي عامة.

ولقد كتب الحكيم الكثير من المسرحيات الذهنية نورد بعضا منها، مع إعطاء لمحة وجيزة عن كل منها:

[1]- المصدر السابق، ص12.

[2]- المصدر نفسه،ص13.

1. مسرحية أهل الكهف: ارتسمت صورتها في ذهن الحكيم منذ أمد بعيد قبل كتابتها في الإسكندرية عام1928م، إذ يقول عن ذلك:" إن أهل الكهف كتبت في أعماق نفسي منذ سمعت سورة الكهف تتلى يوم الجمعة في المسجد وأنا صغير، ولقد كان الفقيه يرتل وأنا ساهم أرى في الهواء الكهف وظلماته وفجواته، يشاطرهم عين النصيب، كل تلك الصور كانت تنسج خيوطها في نفسي يد مجهولة منذ الطفولة، هذه اليد يد الطبيعة الفنية"[1] .

ومحور هذه المسرحية يدور حول صراع الإنسان مع الزمن، وهذا الصراع يتمثل في ثلاثة من البشر يبعثون إلى الحياة بعد نوم يستغرق أكثر من ثلاثة قرون، ليجدوا أنفسهم في زمن غير الزمن الذي عاشوا فيه من قبل، وكانت لكل منهم علاقات وصلات اجتماعية تربطهم بالناس والحياة، ولكنهم سرعان ما يدركون بأن هذه العلاقات قد انقضت بمضي الزمن، الأمر الذي يحملهم على الإحساس بالوحدة والغربة، وبالتالي يفرون سريعا إلى كهفهم مؤثرين موتهم على حياتهم[2].

ولقد استخلص الحكيم فكرة مسرحيته من القرآن الكريم والتفاسير، لكن لغة المسرحية لا تخرج عن كون عباراتها ملابس تلبسها المعاني، والسبب في ذلك أن الكاتب في المرحلة الأولى من الكتابة الفنية، فاضطر إلى اقتباس كثير من الكلمات للدلالة على أفكاره، وهكذا فقد أصبحت شخوصه مجرد أبواق تعرض أفكاره وآراءه.

كما تعد مسرحية "أهل الكهف" أول مسرحية عربية ناضجة بالمعيار النقدي الحديث، حيث ترجمت إلى الفرنسية والايطالية والانجليزية، وهذا أكبر دليل على شهرتها، كما أن المسرح القومي قد افتتح بها نشاطه المسرحي، فكانت أول العروض المسرحية المعروضة فيه، غير أن الفشل كان حليفها، وقد عزا توفيق الحكيم السبب في ذلك إلى أنها كتبت فكريا ومخاطبة للذهن ولا يصلح أن تعرض عمليا، وقد نشرت عام 1933م[3] .

2. مسرحية بجماليون : وتعد من المسرحيات الذهنية الشهيرة لتوفيق الحكيم، اعتمد فيها على الأساطير، وخاصة أساطير الإغريق القديمة، والأساطير إدراك رمزي لحقائق الحياة الإنسانية التي قد تكون قاسية، وهدفها خلق نوع من الانسجام بين الحقائق الإنسانية، نشرت عام 1942م.

3. مسرحية محمد: لم تتجل الموهبة والعبقرية للحكيم كما تجلت في مسرحية "محمد"وهي أطول مسرحياته، بل أطول مسرحية عربية، وربما بسبب طولها فإنه من الصعب تمثيلها على خشبة المسرح، وقد استقى الحكيم مادتها من المصادر

[1]- د.إسماعيل أحمد أدهم: مرجع سابق، ص183.

[2]- توفيق الحكيم: مسرحية أهل الكهف، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1975، ص35.

[3]-المصدر نفسه، ص36.

الدينية المعروفة، والمسرحية تعد بمثابة سيرة للرسول – عليه الصلاة والسلام – إذ أنها تشمل فقرات من حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وتغطي أهم جوانب تلك الحياة.

4 . مسرحية سليمان الحكيم:وهي من المسرحيات الذهنية للحكيم، اعتمد في تكوين مادتها على كتب ثلاثة كما صرح في تقديم هذه المسرحية:" بنيت هذه القصة على كتب ثلاثة القرآن والتوراة وألف ليلة وليلة، وقد سرت فيها على نهجي في أهل الكهف، وشهرزاد وبجماليون"[1] ، حيث استخدم ما ورد في القرآن عن ملكة سبأ وعن الهدهد والجن، كما استخدم ما ورد في ألف ليلة وليلة عن الصياد والقمقم الذي كان سليمان قد سجن فيه أحد الجن، وأما التوراة فقد أخذ من " نشيد الإنشاد" لسليمان صفحات بأكملها.

ولقد نشرت لأول مرة عام 1943م، وأعيد طبعها سنة 1948م، والفكرة التي تدور حولها هذه المسرحية يوضحها الحكيم بقوله:" اليوم في نهاية عام 1948م والطبعة الثانية موشكة على الظهور، يخيل إلى أن مسرحية سليمان الحكيم قد غدت رمزا لذلك الصراع الدائر على مسرح الدنيا...إن الجني المنطلق من القمقم هو المتسلط الساعة على النفوس... إن القوة عمياء ما نالها أحد حتى اندفع يدوس بها الأخرين ...وإن القدرة مغرية ما ملكها أحد حتى بادر إلى استخدامها فيما ينبغي وما لا ينبغي...إن أزمة الإنسانية الآن، وفي كل زمان هو أنها تتقدم في وسائل قدرتها أسرع مما تتقدم في وسائل حكمتها..."[2].

إلا أن ما يهمنا في هذه المسرحية هو الحضور الديني ، من خلال الأحداث في القرآن الكريم، ومقاربتها بالنص المسرحي الإبداعي،ودراسة الشخصيات الواردة فيهما، وهذا ما ارتأيناه أن يكون موضوع الفصل التطبيقي.

[1]– توفيق الحكيم: مسرحية سليمان الحكيم، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1948، ط2، ص10.

[2]– المصدر نفسه، ص160.

الفصل الثاني:

الحضور الديني في مسرحية "سليمان الحكيم":

1. ملخص القصة القرآنية:

لم تذكر قصة سيدنا سليمان – عليه السلام – في القرآن الكريم في سورة واحدة من سور القرآن، وإنما ذكرت في عدة سور، وهي بالترتيب كما يلي: سورة البقرة[1] وسورة النساء[2] وسورة الأنبياء[3] وسورة النمل[4] وسورة سبأ[5] وسورة ص[6].

ولم تكن قصة تسرد من أولها إلى أخرها، وإنما هي نعمٌ أنعم الله بها عليه، فأظهرت فضل هذا النبي، فهي آيات تبين لنا نعم الله المترادفة عليه وعلى أبيه.

و يمكن أن نلخصها على الشكل التالي:

أ. **أن الله منحه الذكاء وإصابة الحكم منذ صباه:** دل على ذلك قصة الحرث الذي نفشت فيه غنم غير أهله، فقد وفق إلى الحكم الأقوم، وقد ذكرت في قوله تعالى ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩ ﴾ [7]

ب. **أن الله تعالى علمه منطق الطير:** وذلك ما دل عليه قوله تعالى﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ ﴾ [8]

---

[1] – سورة البقرة، الآية 102.

[2] – سورة النساء، الآية 77، 79، 80.

[3] – سورة الأنبياء، الآية 78، 79 و 81.

[4] – سورة النمل، الآية 16.

[5] –سورة سبأ، الآية

[6] – سورة ص، الآية 31، 32، 33 و 36.

[7] – سورة الأنبياء، الآية: 78-79.

[8] – سورة النمل، الآية:16

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:"...و لكن الله سبحانه كان قد أفهم سليمان ما يتخاطب به الطيور في الهواء، وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها..."[1].

و المنطق و النطق هو كل لفظ يعبر عما في الضمير، و هذه نعمة منَّ الله بها على نبيه سليمان، ولم يعطها أحد من البشر.

ج. **تسخير الريح له:** ودلّ على ذلك قوله تعالى ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾[2]

و قوله تعالى في آية أخرى ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[3]

د. **سليمان و الصافنات الجياد:** ودلّ على ذلك قوله تعالى ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾[4] أي أنه عرضت عليه الخيل الصافنات؛ التي تقف على ثلاث و طرف حافر الرابعة،والجياد السراع، فاشتغل بذلك حتى فات وقت صلاة العصر فأمر بها فعقرت[5].

هـ. **فتنة سليمان و إلقاء الجسد على كرسيه:** ودلّ على ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾[6]

و قد ذكر فخر الرازي في تفسيره وجوها لتفسير هذه الآية: أحسنها أن سيلمان ابتلي بمرض شديد ضنى منه حتى صار لشدة المرض كأنه جسد بلا روح ثم أناب " أي رجع إليه ملكه و صحته"، ويذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية،

[1] – إسماعيل ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار الخير، دمشق، بيروت، 2006، ط1، م 3، ص457.

[2] – سورة ص، الآية36.

[3] – سورة الأنبياء، الآية81

[4] – سورة ص، الآية30.

[5] – المصدر نفسه،م4،ص50.51 بتصرف.

[6] – سورة ص، الآية34.

أن الله سلب من سليمان ملكه و ألقى على كرسيه جسدا قال ابن عباس يعني شيطانا وقد كان اسم ذلك الشيطان صخرا وقال مجاهد اسمه آصف...[1]

و. **إسالة عين القطر لسليمان عليه السلام:** ذكر الله تعالى في كتابه أنه أسال عين القطر لسليمان، وذلك في معرض تعداد النعم التي أنعم الله بها عليه، و القطر هو النحاس المذاب.

فلقد كان لسليمان بنائين من الجن، فبنوا له الهيكل العظيم والمصانع، فأسال الله تعالى له العين نحاسا تقذفه مذابا، وسبب ذوبانه أن الأرض التي فتحت فيها العين مصطهرة بالنار، فالنحاس المختلط بصخور تلك الأرض يصهر ويقذف من فوهة تلك العين سائلا، فيأتي عمال سليمان ويأخذونه للانتفاع به في الصناعات ونحوها، مما يحتاج إليه سليمان .

ز. **تسخير الجن لسليمان:** أخبر الله تعالى في كتابه الكريم بأنه سخر الجن لسليمان، إذ قال تعالى﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾[2]

فهذه الآيات دلّت على أن الله سخر لسليمان الجن تطيعه؛ وينفذ أمره فيهم؛ ويعملون له مايشاء من ضخم المباني و العمائر والتماثيل والقدور الراسيات والجفان.

ح. **حدث النملة و سليمان:**

ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[3]

[1]- المصدر السابق،م4،ص52.

[2] - سورة سبأ، الآية12- 13.

[3]- سورة النمل، الآية17- 18- 19.

أي أنه جمع لسليمان جنوده من الجن و الإنس و الطير يعني: ركب فيهم في أهبة وعظمة كبيرة في الأنس، وكانوا هم الذين يلونه، والجن بعدهم في المنزلة، وكان يوم حر؛ فأظلته الطير منه بأجنحتها، فهم يوزعون أي يكف أولهم على أخرهم؛ لئلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له، حتى إذا مر سليمان بمن معه من الجيوش والجنود على وادي النمل، فخافت نملة على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها، فأمرتهم بالدخول إلى مساكنهم، ففهم ذلك سليمان

-عليه السلام- منها فشكر الله على النعم التي منّ بها عليه؛ من تعليم منطق الطير والحيوان؛ وعلى والديه بالإسلام ،فألهمني إلى عملا تحبه و ترضاه، وألحقني بعد الموت بالصالحين من عبادك و الرفيق الأعلى من أوليائك[1]

ط. **حدث سليمان و ملكة سبأ:**

ولعل هذا الجزء من القصة هو الذي نال حصة الأسد في القرآن الكريم، حيث دلّت الآيات على أن سليمان كان يفهم ما تريده الطير بأصواتها إذا صوتت؛ ويفهمها ما في نفسه؛ ويحاورها، وكانت مسخّرة بأمره يأمرها فتأتمر؛ ويستعملها في بعض مهماته، ومن ذلك أنه تفقد الطير يوما فلم يجد الهدهد، فعدّ ذلك جريمة اقترفها، حيث هدده بالذبح أو التعذيب إلاّ إذا أتاه بعذر بين يبرر هذا التخلف، فلما جاء الهدهد سأله عن غيبته، فأخبره أنه كان في سبأ من بلاد اليمن؛ و يخبره عن أمّة تحكمهم ملكة لها ملك عظيم، و أنهم وثنيون يعبدون الشمس من دون الله، و أنّ لملكتهم عرش عظيم؛ فيه أنواع الزينة و الجواهر.

فأراد سليمان أن يختبر الهدهد؛ أهو صادق في خبره أم كاذب، فأعطاه كتابا ليوصله إلى الملكة؛ فذهب الهدهد بالكتاب وألقاه إليها وتولّ جانبا، فأخذته فإذا به﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[2]

لم تكن الملكة مستبدة بإجابتها على الكتاب، لكنها جمعت رجال دولتها وأهل مشورتها وأعلمتهم بما جاء في الكتاب، فأخذتهم العزة وثارت فيهم الحماسة وقالوا لها:﴿ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[3]

[1]- المصدر السابق، ص495.

[2]- سورة النمل، الآية30- 31.

[3] - سورة النمل، الآية33.

لكن الملكة كانت عاقلة فنظرت في الأمر بعين الفطنة، ولم تغتر بما أبداه رجالها من الحماسة، وقالت لهم إن دخول الملوك إلى المدن ليس بالأمر الهين؛ وأثره ليس بالسهل على أهلها فإنهم ﴿ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1]

وعرضت عليهم رأيا آخر، وجدته أقرب إلى حل هذه الأزمة التي أتتها من حيث لا تحتسب؛ وأرادت اختبار سليمان بإرسالها هدية تصانعه بها؛ وتستنزل مودته بسببها، ثم تنظر ماذا يرجع به رسلها من عند سليمان.

ثم رجع رسلها بتقرير واف عن حقيقة هذا الملك الذي أرسل يهددها و يطلب حضورها إليه خاضعة بلا تردد، ومدى قوته في ملكه، ومبلغ ما يمكن أن يقدر عليه من المكيدة إذا لم تخضع لأمره، فلما جاءت رسلها إلى سليمان بالهدية لم يقبلها، وأظهر أنه ليس بحاجة إلى أموالهم، وأنه في حال حسنة، وانفساح ثروة مما عليه حال الملكة وقومها، و توعدهم وملكتهم بأن يرسل إلى بلادهم بجنود لا قبل لهم بها،وأن عاقبة ذلك إخراجهم من بلادهم أذلة صاغرين، وبعد أن جاء الخبر من الرسل إلى الملكة علمت عظمة سليمان وقوة ملكه، فأشفقت على قومها، وأجمعت الذهاب إليه مع رجال مملكتها.

ولما علم سليمان باعتزام ملكة سبأ على زيارته، شيد لها صرحا عظيما،ومرّد أرضه بالزجاج، ولما قربت من ديار سليمان أراد أن يظهر لها من دلائل عظمته ونعم الله تعالى عليه ما يبهرها؛ وهو أن يأتيها بعرشها الجميل ليكون جلوسها عليه في هذا الصرح، فسأل جنوده عن قوي يأتيه بذلك العرش، فقال له عفريت من الجن ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[2] على ما فيه من الجوهر والحكي .

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[3] وكان الأمر كما قال،فجاء به ووضع في الصرح الذي هيئ لاستقبالها بعد التنكير في هذا العرش والزيادة والنقصان فيه.

فلما جاءت ورأت العرش قيل لها أهكذا عرشك؟ فقالت كأنه هو﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[1] ، ولما أرادت دخول الصرح والوصول إلى العرش ظنت الزجاج ماء، فكشفت عن

[1] – سورة النمل، الآية34.

[2] – سورة النمل، الآية 39.

[3] – سورة النمل، الآية 40.

ساقيها لئلا تبتل ثيابها بالماء، حينها أخبرت بأن ما ظنته ماء إنما هو زجاج، فقالت ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[2]

فأسلمت مع سليمان لله رب العالمين، وعرفت أنه نبي كريم وملك عظيم.

ي. وفاته –عليه السلام–:

من المعلوم أن لكل شيء خاتمة، ولكن بداية نهاية، ولكل حي ممات، فخاتمة ونهاية قصة سيدنا سليمان موته عليه السلام.

فلقد ورد قوله تعالى مبينا لنا حالة موته –عليه السلام– في سورة سبأ ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾[3]

يذكر تعالى الحالة التي مات عليها سيدنا سليمان –عليه السلام–؛ و كيف عمى الله موته على الجن المسخرين له في الأعمال الشاقة؛ فإنه مكث متوكئا على عصاه وهي منساته؛ فلما أكلتها دابة الأرض ضعفت وسقط على الأرض، و علم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة؛ مما تبين للإنس والجن أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون،كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي – صلى الله عليه و سلم– قال: "كان نبي الله سليمان عليه السلام إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه، فيقول لها: ما اسمك؟ فتقول كذا، فيقول لأي شيء أنت؟ فان كانت تغرس غرست، وإن كانت لدواء كتبت. فبينما هو يصلي ذات يوم، إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخروب، قال لأي شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت، فقال سليمان عليه السلام، اللهم عم على الجن موتي؛ حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، فنحتها عصا فتوكأ عليها حولا ميتا و الجن تعمل، فأكلتها الأرضة، فبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين[4]

[1] – سورة النمل، الآية 42.
[2] – سورة النمل، الآية 44.
[3] – سورة سبأ، الآية 14.
[4] – المصدر السابق، ص671.

فقد كانت موت سليمان عليه السلام بهذه الصفة ناسفة لفكرة معرفة الجن للغيب؛ تلك الفكرة التي فتن الناس بها، فاستقرت في أذهان بعض البشر والجن؛ فقد مات سليمان دون أن يعلم الجن؛ فظلوا يعملون له؛ وظلوا مسخرين لخدمته؛ ولوأنهم كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، وعرف الناس هذه الحقيقة.

لقد عاش سليمان وسط هذا الملك والمجد الذي دانت له فيه الأرض، لكن الموت نهاية كل حي ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[1]

[1] - سورة الرحمن، الآية 26- 27.

2. ملخص المسرحية

يقول توفيق الحكيم " بنيت هذه القصة على كتب ثلاثة: القرآن، التوراة، وألف ليلة وليلة "[1]

في صنعاء على شاطئ البحر، كان صيادا يرمي بشبكته في الماء، وفي كل مرة كان يخفق ويفاجئ بشيء غريب، وفي إحدى المرات رمى بها كعادته، فإذا بقمقم نحاسي يخرج منه عفريت يردد لا إله إلا الله سليمان نبي الله، وكان هذا العفريت قد حبسه سليمان، لأنه عصى أوامره ولم يذهب مع الجن إلى مملكة حيرام لإحضار خشب السرو لبناء بيت الرب ، وأخبر العفريت الصياد أنه مكث في القمقم سنوات عديدة دون أن يخلصه أحد، وعندما يئس ومل الانتظار، أقسم أن من يخلصه الآن بعد مدة طويلة سيقتله ، فكان ذلك نصيب الصياد المسكين ، ولما كان الصياد نبيها عرض على العفريت أن يتوسط له عند سليمان ليعفو عنه، شريطة أن يعفو عنه هو الآخر، وقبل سليمان بهذا الاقتراح، شريطة أن يتحمل الصياد عواقب أعماله ونتائج أفعاله سواءا خيرا أو شرا .

نجد هذا في المنظر الأول من المسرحية وقد اقتبس الحكيم هذه القصة من كتاب " ألف ليلة وليلة « التي صرح بها عند بداية مسرحيته.

أما الهدهد الذي أمره سليمان بالذهاب للبحث عن موضع الماء، فقد أبطأ في العودة كثيرا، حتى تملك سليمان الغضب ، ووعد بتعذيبه وإنزال العقاب به إذا لم يأت بحجة تطفئ نار غضبه، وحين عاد الهدهد بادر بالكلام قبل أن يسأله عن سبب تأخره ، وأخبره أنه يحمل له خبرا غاية في الأهمية، أن هناك ملكة جميلة عادلة ، وأنها وقومها يعبدون الشمس من دون الله ، فأراد أن يختبر صدقه أو كذبه، حيث أمره بحمل كتاب منه إلى هذه الملكة، يدعوها فيها لاعتناق دينه بالتي هي أحسن ، وترك ما يعبدون من دون الله .

لما تلقت ملكة سبأ كتاب سليمان، وما رأته من أمر الهدهد، جمعت أشراف قومها لتستشيرهم في الأمر، فأشاروا عليها بإعلان الحرب، ولكن الملكة رفضت الفكرة، وارتأت أن تجس نبض سليمان، وما ينوي من وراء كل هذا، وإذا ما كان حقا نبيا من الله ، فبعثت برسلها يحملونه الهدايا، حتى تتفادى بطشه وجبروته، ولما وصل الرسل استقبلهم سليمان غاضبا، قائلا لهم أنه يملك من الله أحسن مما عندهم، وطلب من الرسل أن يبلغوا ملكتهم الحضور إلى قصره، وإلا فبينهم الحرب ، قررت بلقيس عند سماع طلب سليمان أن توافق على الذهاب إليه ، وذلك خوفا على مملكتها وقومها من حرب خاسرة مسبقا، لما سمعته عن قوة وجيش سليمان من رسلها، ولكنها فكرت في أخذ |منذر" معها، وهو أسير لديها وقعت في حبه، ولكنه لا يبادلها المشاعر، وذلك حتى تشعر بالقوة والأمان .

[1]- توفيق الحكيم: سليمان الحكيم، ص10.

في هذه الأثناء كان سليمان محتارا مهموما يفكر في طريقة يبهر بها بلقيس ويريها بعضا مما وهبه الله، لتتأكد من صدق نبوته، فطلب من جنوده من الجن أن يأتوا له بعرشها قبل وصولها، ولم يكن قادرا على تنفيذ أمر خارق كهذا إلا الجني صديق الصياد، الذي وعده بتحقيق ذلك قبل وصولها .

ولما جاءت بلقيس ودخلت على العرش ، انبهرت بما رأته، وعرفت أنه عرشها ولكنه بأبهى حلة، عندئذ عرفت مدى قوة سليمان وقدرته، وأنها اختارت الرأي الصائب بتفادي غضبه، وما زاد من دهشتها أن سليمان أخبرها عن سرّ قلبها وما تخفيه عن الجميع، وهو حبها لأسير لديها، وفي اليوم الموالي طلب سليمان من الجني أن يقوم مرة أخرى بشيء يبهر به بلقيس، فاقترح بناء وتشيد صرح غاية في الجمال لم تبصر مثله في حياتها، فلما تم الأمر وجاءت بلقيس دهشت مما رأت من أعاجيب، إذ صرح ممرد من قوارير فحسبته لجة ماء، وخافت فحملها سليمان على كتفيه وتقدم بها إلى عرشه.

وفي اليوم الموالي كان سليمان يجلس مطرقا حزينا ، فلاحظ الجني ذلك، وعرض عليه مساعدته، وأنه الوحيد القادر على ذلك، فهو بإمكانه جعل قلب بلقيس يخفق له، وذلك بتنفيذ خطة يستطيع بها سليمان امتلاك قلب بلقيس، وهي أن يسحر العفريت ذلك الأسير ويجعله حجرا، ويجعل حول هذا الحجر حوضا من الرخام، ثم يخبر بلقيس أنها لو شاءت أن تدب الحرارة في ذلك الحجر، عليها أن تبكي الليل والنهار أمام هذا الحوض الرخامي، إلى أن يمتلئ بدموعها، حينئذ يستيقظ هذا الحبيب وقلبه ممتلئ حبا لمن أذابت بماء عينيها جموده الحجري.

فظلت بلقيس تبكي حبيبها دون ملل أوكلل، وكان العفريت خائفا من أن تحقق ذلك ويعاقبه سليمان على فشله، فطلب من سليمان أن يذهب ويلهيها بالحديث، فيما يذهب هو إلى خادمتها شهباء التي بدورها واقعة في حب الأسير وعطفها عليه وعلى ما آل إليه حاله، فراحت تبكيه بحرقة، فإذا بالحياة تدب فيه ويرتمي بين أحضانها محبا مغرما، ولما علمت بلقيس بما خطط له سليمان غضبت وقررت الرحيل من قصره، وكان ذلك، وبعد رحيلها ندم سليمان على ما فعل وتاب إلى الله، وقرر معاقبة العفريت بإعادته إلى القمقم.

جلس سليمان طويلا لا يتحرك، فاحتار الجميع في أمره، وفي أمر سكونه المستمر، وتوقع وزيره آصف والكاهن أن يكون قد مات، واتهما الصياد بأنه يعلم كل شيء لأنه في الأخير أصبح مقربا له، وكاتم أسراره، وبينما هم يتحدثون خر سليمان على الأرض بسبب "أرضة الأرض " التي أكلت منساته، حتى سقط على الأرض، فأخبرهم الصياد أن سليمان طلب منه كتم الأمر عن الجميع حتى لا تعلم الجن بذلك، فتحدث الفوضى في مملكته، ولكن إرادة الله وحكمته أرادت غير ذلك، فمثلما كانت حياته مميزة مختلفة عن حياة الغير كانت موته كذلك.

3. تجليات القصة من خلال التفاعلات :

1 تفاعل الأحداث في القصة القرآنية :

أ- سليمان في واد النمل، وقصته مع الهدهد وملكة سبأ:

إن قصة سليمان مع النملة في واد النمل، ثم ما جرى بينه وبين الهدهد وملكة سبأ، من أطول مشاهد قصته في القران الكريم، ولقد حوت العديد من المواقف التي تزخر بالمعاني والدلالات.

ويكفي أن نعلم أنها أخذت حيزا كبيرا من سورة النمل قدره(تسعة وعشرون) أية،من الآية الخامسة عشرة حتى الآية الرابعة والأربعين من سورة النمل .

وأحداث هذه القصة ،استهوت عشاق الحكايات والأساطير، فراحوا ينسجون حولها الكثير من المواقف والخيالات لا يسندها نقل، ولا يرتضيها عقل، ولا نبالغ إذا قلنا: إن أحداث هذه القصة من أكبر المواضع التي نسجت حولها الأساطير، ودخلت عليها الإسرائيليات في القران الكريم، ولكثرة الغموض الذي يلف هذه القصة ومشاهدها ارتأينا مع سياق الآيات محاولين فهم المعاني واستخراج الدروس والعبر .

وبسبب طول أحداث هذه القصة، ارتأينا أن نقسمها إلى مجموعة من المشاهد حسب سياقنا لفهم الآيات، فكان هذا التقسيم.

ب- سليمان يجمع جيشه في واد النمل:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1]

تتحدث الآية الكريمة على ملك سليمان عليه السلام –فها هو يخرج يوما مع جيشه العسكري الكبير، في موكب ملكي عظيم، وتذكر الآية أن جنوده متكونة من ثلاث فرق (فرقة الجن وفرقة الإنس وفرقة الطير).

حيث يعطينا الحافظ ابن كثير وصفا لترتيب الفرق ويقول "إن الإنس كانت تلي سليمان وان الجن بعد الإنس في المنزلة والطير منزلتها فوق رأسه، فان كان حرا أظلته منه بأجنحتها"[2] ، ولم تذكر الآية الكريمة سبب خروج سليمان بهذا الجيش،هل كان ذاهبا إلى معركة؟ أو عائدا منها ؟ أم أنه يستعرض قواته فحسب؟ أم لسبب آخر؟ حيث لا نملك دليل صحيح عن سبب خروجه.

[1] – سورة النمل، الآية 17.

[2] – ابن كثير: تفسير القران العظيم، م3، ص35.

وعلى الرغم من اختلاف أجناس هذا الجيش، وتعدد فرقه، وكثافة أعداده، إلا أنه كان جيشا منظما مرتبا، ليس للفوضى فيه أي مكان، وليس للتسيب فيه أي موضع ولا عنوان، فهوكما يقول السيد قطب "حشد عسكري منظم،يطلق عليه (اصطلاح الجنود) إشارة إلى الحشد والتنظيم"[1] ونفهم هذا من قوله تعالى "**فَهُمْ يُوزَعُونَ**".

وهذا يدلنا على حزم سليمان عليه السلام، وحسن إدارته لمملكته، وتوزيع المهام حتى لا يكون ثمة تقصير. يقول الإمام القرطبي :"في الآية دليل على اتخاذ الإمام والحكام وزعة، يكفون الناس ويمنعونهم من تطاول بعضهم على بعض، إذ لا يمكن الحكام ذلك بأنفسهم"[2]. وهذا الأمر تقتضيه قواعد الإدارة السلمية الناجحة، وجرت عليه عادة الجيوش والملوك.

ج- جيش سليمان في واد النمل، وحديث النملة، وتعقيب سليمان على كلامها:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩ ﴾[3]

سار سليمان بجيشه المنظم المرتب، تتلاءم خطاهم،وتتناسب حركاتهم، وفي طريقهم مروا على واد النمل؛ شاهدتهم نملة من نمال هذا الوادي؛فخشيت على بنات جنسها؛ فصاحت فيهم محذرة منبهة "**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ**" وقد بلغت هذه النملة من الحكمة والفطانة والحرص، ماجعلها تحشد في نصيحتها المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، وكأننا إمام خطيب بليغ؛ وواعظ فصيح.

سمع سليمان عليه السلام قول النملة، وفهم كلامها بما علمه الله من لغة الحيوانات" **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ** "والتبسم هو أول الضحك وابتداؤه من غير صوت، والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور مع صوت خفي، فإن كان فيه صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة، وقد سرّ ذلك سليمان –عليه السلام–

[1]- السيد قطب: في ظلال القران، دار الشروق، القاهرة، 1981م، ط1، م5، ص2636.

[2]- القرطبي :الجامع لأحكام القران ،دار الكتب العلمية ،بيروت،1998م،ط5- م13-ص113.

[3] - سورة النمل، الآية18- 19.

وتأثره من كلامها فانفرجت شفتاه مستحسنا؛ ثم زاد فرحه وسروره وانبساطه وانشراحه؛ فانتقل من مرحلة التبسم إلى مرحلة الضحك[1].

وفهم سليمان لكلام النملة نعمة عظيمة، يجب أن تقابل بما يناسبها، لذلك قال"رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ "

فطلب سليمان من الله الإلهام والتوفيق لشكر النعمة والمداومة على ذلك،وأن يلهمه ويوفقه لعمل الصالحات التي يحبها الله ويرضاها.

ح- سليمان يتفقد فرق الجيش:

تابع الجيش الكثيف في نظام دقيق، وانضباط وثيق، ولما كان سليمان –عليه السلام –يتصف بالحزم والقوة وحسن الإرادة، بدأ يتفقد قواته ليرى إن كان هناك خللا أو تقصيرا، فتفقد فرقة الجن والإنس، فوجد الأمر على ما يرام، والوضع يسير بانسجام، ولما وصل إلى فرقة الطير اكتشف أن في الأمر خللا، وغياب أحد الجنود **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾[2]

ط- الهدهد يدلي بحجته:

ولم يمر وقت طويل على تفقد سليمان الطير؛ وتهديده الهدهد؛ حتى عاد الهدهد ومعه نبأ عظيم؛ يعود الهدهد ومعه المفاجأة التي ستغير مسار الأحداث، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟

[1]- صلاح عبد الفتاح الخالدي: القصص ا لقرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، سوريا، 1998، ط1، م3، ص521.

[2] - سورة النمل، الآية 20- 21.

لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ [1]

غاب الهدهد غيبة قصيرة، وأقام زمانا غير بعيد ثم حضر، وما إن عاد الهدهد حتى بادر سليمان بمفاجأة لم تخطر لسليمان على بال قائلا"أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ " وقد بادر الهدهد سليمان لأنه يدرك حزمه وصرامته مع الجند؛ ويدرك أن غيبته عن نوبته لن تمر دون حساب؛ لذلك بادر سليمان ليكنّ غضبه ويخفف حنقه، " فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ " أي اطلعت بما لم تطلع عليه، وعرفت ما لم تعرفه، ووقفت على ما لم تقف عليه، وقد استطاع الهدهد بهذه المفاجأة أن يستجلب انتباه سليمان، ويشد خاطره، ويعمل تفكيره، ثم بدأ الهدهد بتقديم تقريره بعد أن قدم عذره "وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَىۡءٍ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٌ "، حيث جاءه بخبر سبأ، تلك البلاد التي كان نظام الحكم فيها نظاما ملكيا، لكن الغريب في الأمر أن الملك في هذه البلاد امرأة وليس رجلا، ولم يذكر اسمها في القرآن الكريم إلا أن ما يذكر معظم المفسرين أن اسمها "بلقيس" وقد أوتيت ملكا عظيما وعرشا عظيما.

وبعد أن أتم الهدهد عرض حال الملكة، انتقل للحديث عن ديانة القوم وعبادتهم " وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ " فالقوم كانوا يعبدون الشمس، فهم وثنيون غير موحدين، وعقب على ذلك قائلا "وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ " فلقد حسّن لهم الشيطان أعمالهم وحبب إليهم كفرهم وصدهم بذلك عن طريق الحق، فكانت النتيجة أنهم لا يهتدون.

وبعد ذلك انتقل إلى تعظيم الله تعالى، فذكر عظمة الله ووجوب إفراده بالعبادة.

ي- إرسال الهدهد في مهمة دعوية إلى ملكة سبأ:

لما أتم الهدهد عرض ما شاهده، وقدم عذره في تغيبه عن نوبته، ويبدو أنه نجح في استثارة اهتمام سليمان وإقناعه، وبالتالي نجاته من العقاب، فكان موقف سليمان التثبت من قول الهدهد﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [2]

[1] - سورة النمل، من الآية (22 إلى الآية 26).

[2] - سورة النمل، الآية 27- 28.

إن الأخبار التي جاء بها الهدهد ملكت لب سليمان؛ لأنها أخبار جديدة عن بلاد عجيبة، لكنه ظل محافظا على اتزانه ورجاحة عقله، وحسن تصرفه، دون تعجل أو اندفاع "قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ "دون تسرع أو فقد اتزان، فهو بذلك قبل عذر الهدهد، وكانت وسيلته في ذلك أن أرسل كتابا إلى هذه الملكة وحمل هذا الكتاب من أتى بالأمر العجيب، لأنه خبير بالأمر حيث يعرف مداخل المملكة ومخارجها، فقال له" ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ " فأرسله إلى ملكة سبأ وقومها في مهمة دعوية وسفارة إيمانية؛ ثم أمره أن يلقيه إليهم، ويرى ردة فعلهم وجوابهم، ويمكن حصر سفارة الهدهد على أربع مهمات ، (الذهاب،الإلقاء،التولي،ثم النظر والتأمل)وهنا ينتهي ذكر الهدهد، ولا نعد نسمع عنه شيئا في آيات القرآن.

ك–الملكة تجمع مجلس مشورتها ليقروا ماذا يصنعون:

بعد امتثال الهدهد لأمر سليمان وحمله الكتاب وتنفيذه الأوامر بدقة، ثم تنحى جانبا ليراقب التطورات وما ستؤول إليه الأحداث.

فأخذت الملكة الكتاب وفتحته لتعلم ما فيه، فإذا بكتاب موجه من سليمان –عليه السلام –يدعوها وقومها إلى نبذ عبادة الشمس والدخول في الإسلام.

ولما كانت المرأة عاقلة، علمت أن الأمر جد خطير، فلم تشأ أن تنفرد في اتخاذ القرار، بل دعت لعقد اجتماع طارئ لمجلس مشورتها، فحضروا وانعقد المجلس – وهم لا يعرفون سبب الاجتماع–﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1] وقد وصفت هذا الكتاب بالكريم"كِتَٰبٌ كَرِيمٌ "،ففتحت الكتاب فإذا فيه " إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ " كلام وجيز مع كمال الدلالة على المقصود، وهو في غاية القوة والوضوح والحزم.

و لما فهمت الملكة من الكتاب أن الأمر جد خطير، طلبت من أشراف قومها إسداء النصح، و تقديم المشورة "قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى " فعلمت قيمة المشورة حيث يقال "الاعتصام بالمشورة نجاة" و كذلك

[1] – سورة النمل، الآية (29–إلى الآية35)

"إن المشورة تقوّم اعوجاج الرأي" وكما يقال كذلك "نصف عقلك مع أخيك فاستشره" ثم تعقب فتقول " **مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ** " أي لا أصدر حكما، و لا أتخذ قرارا إلا بعد الاستفادة من مشورتكم و اقتراحاتكم، ولعل هذا دليل حزمها و رجاحة عقلها، و أن نظام هذه المملكة كان نظاما ملكيا شوريا أو نظاما ديمقراطيا – حسب تعبيرنا المعاصر–

ثم كان رد الملأ من قومها بعد طلب رأيهم " **قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ** " فرغم اعتدادهم بقوتهم، واختيالهم ببأسهم، إلا أنهم ردوا الأمر إليها، وفوضوها باتخاذ القرار.

ففهمت الملكة من جوابهم ميلهم إلى القتال، وهي غير راغبة به لذا " **قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ** ".

فبينت لهم أن من عادة الملوك إذا دخلوا قرية عنوة خربوها، وأشاعوا فيها الفساد، وجعلوا أهلها أذلة وكل هذا بحكم تجارب التاريخ، ثم ما لبثت أن أفصحت عن خطتها " **وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ** " فأرادت أن تمتحن سليمان –عليه السلام– و تختبر نفسيته وتبتلي أخلاقه لتعرف أهو جاد في كتابه أم أنه صاحب أطماع مادية، فقررت أن ترسل إليه هدية، هي في واقع الحال رشوة تحت ستار هدية.

كما روي عن ابن عباس أنه قال: "قالت لقومها، إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه"[1] وهذا يدل على رجاحة عقلها و فطنتها.

ل– وصول الهدية إلى سليمان و رده عليها:

فأعدت الملكة هديتها وأرسلت بها مع وفد رفيع كعادة الملوك، ولم يذكر لنا القرآن عن نوع هذه الهدية ولا حجمها، إلا أن الإسرائيليات بالغت في وصفها مبالغة كبيرة لا يقبلها عقل.

و بعد وصول الوفد إلى "سليمان" كان موقف هذا الأخير ما قصه علينا القرآن **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ**

[1]– محمد ابن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، دار الجيل، بيروت، دت، م 19، ص155.

بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1] فرفض سليمان قبول هديتهم واستنكر فعلتهم في محاولة رشوته بالمال، وشراء ذمته بالهدايا، ثم أطلق سليمان تهديده القوي الصاعق وإنذاره الأخير الماحق، وحمّله رسالة مع وفد الهدية " ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ" وهنا تدخل الأمور في طور المواجهة بعد استنفاذ كافة الوسائل السلمية.

فرجع الوفد بالهدية إلى الملكة وأخبروها بردة فعل سليمان وتهديده الأخير لهم، إن لم يأتوه مذعنين منقادين طائعين، فعرفت الملكة أن سليمان–عليه السلام– ليس ملكا متجبرا؛ ولا حاكما دنيويا؛ ولكنه نبي من ربه، و أدركت أنه لامناص من الدخول في طاعته والخضوع لأمره.

م– سليمان يحضر عرش الملكة:

و لما علم سليمان بقدوم الملكة إليه، ومسيرها نحوه، أراد أن يفاجئ الملكة بآية باهرة؛ ومعجزة قاهرة؛ تكون دليلا على أنه نبي مرسل، فجمع أهل الحل و العقد في مملكته؛ وعرض عليهم خطته ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[2] فأراد سليمان من إحضار العرش أن يكون دليلا على نبوته، وليريها عظمة قدرة الله، وقوة سلطانه–سبحانه و تعالى– و يختبر رجاحة عقلها عند مواجهة الصدمات، كما أورده البيضاوي "أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من العجائب الدالة على عظم القدرة، وصدقه في دعوى النبوة، ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره"[3].

فجاء العرض الأول: " قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ " فعرض هذا العفريت القوى الأمين من الجن إحضار العرش في ساعات، قبل أن يقوم سليمان من مقامه، و قد روي أنه كان يعقد مجلسه إلى انتصاف النهار.

[1] – سورة النمل، الآية36– 37.

[2] – سورة النمل، الآية38– 39– 40–41.

[3] – البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية للنشر، لبنان، 2008، م4، ص268.

ثم كان العرض الثاني و الذي تقدم به أحد الجالسين، وكان عرضا مغريا غاية في الدهشة "قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ" فلا يتصور أن يكون هناك عرض أسرع ولا أفضل من هذا العرض، و في ثوان محدودة كان العرش ماثلا أمام سليمان، ولما عاين سليمان ومن عنده عرش الملكة؛ ورآه ثابتا قائما بين يديه، لم يملك إلا أن يرجع بالفضل والنعمة إلى الله"فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ " وهذه النعمة لم تفتن سليمان –عليه السلام– ولم تجعله من المتكبرين المتجبرين، ولم تظهر عليه أمراض الزعامات، ونقائص المستبدين، بل ازداد بها شكرا لله و حمدا وثناءا عليه – سبحانه و تعالى–.

ن– قدوم الملكة واختبارها، وإعلانها إسلامها:

ولما اقترب وفد الملكة من الوصول، أراد سليمان أن يختبر ذكاء الملكة؛ ويمتحن فطنتها فأعد لها امتحانين واختبارين:

فكان الأول تنكير عرشها قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1] فطلب من أعوانه تنكير عرش الملكة، وكان ذلك بإجراء تغيرات شكلية عليه دون أن يؤثر على جوهره، و قد بين قصده من هذا التنكير وهو قوله "نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ" .

وصلت الملكة و معها وفدها حيث سليمان، وبادرها سليمان بالمفاجأة الضخمة " فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ" نظرت الملكة إلى العرش فإذا هو عرشها، لكن بعض ملامحه تغيرت "قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ" إجابة عاقلة ذكية وهذا غاية في الذكاء و الحزم.

و أما الاختبار الثاني وهو دخول الصرح: فبعد وصول سليمان –عليه السلام– إلى مراده، ووجد أنه أمام امرأة عاقلة فطنة، بدأ اختبارا ثانيا للملكة كان قد خطط له جيدا وأعده بإتقان وإحكام ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ

[1] – سورة النمل، الآية 41– 42– 43.

سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1] فما كادت تخرج من تأثير المفاجأة الأولى حتى وقعت في مفاجأة أخرى لا تقل صعوبة عن الأولى، "قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ" وما إن وصلت باب القصر حتى شدّها المنظر وسلب لبها، فهي ليست أمام قصر عادي وإنما قصر من زجاج، "فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ"فكانت المفاجأة أنها أمام قصر من الزجاج أقيمت أرضيته فوق الماء فبدا لها أنه لجة بحر من تردد أمواجه.

فطلب منها دخول الصرح؛ فالتبس عليها الأمر وحسبت أنها ستخوض في الماء، لذا شمرت ثيابها وكشفت عن ساقيها، عندها كشف لها سليمان السر، بعد أن أظهر عظمة سلطانه، و قوة ملكه "قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ" عند ذلك أعلنت الملكة إيمانها واعترفت بذنبها؛ وشعرت بالندم؛ فنطقت قائلة: " قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ". إلى هنا تنتهي قصة سليمان مع هذه الملكة، وقد اختلف العلماء في أمرها بعد إسلامها هل تزوجها سليمان؟ و هل أقامت عنده؟ أم عادت إلى اليمن؟ فالقرآن سكت عنها ولم يأت لها بأي ذكر.

و بهذا الكلام نختم كلامنا عن هذه القصة الممتعة، والتي حوت دررا من العبر، وجواهر من العظات والدروس.

هـ- وفاة سليمان –عليه السلام– **و مسألة علم الغيب:**

كما كانت حياة نبي الله سليمان –عليه السلام– مليئة بالعجائب، شاءت حكمة الله أن تكون وفاته أيضا حدثا غريبا وأمرا عجيبا، لتكون عبرة للمعتبرين، ودرسا إيمانيا عقائديا للناس إلى يوم الدين، وقد جاءت الإشارة إلى وفاته –عليه السلام– في آية من آيات سورة سبأ عقب تعداد بعض نعم الله تعالى عليه، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾[2]

لقد مر بنا بأن الله سخر طوائف من الجن لسليمان يعملون بين يديه، وكانوا خاضعين له، منفذين لأوامره وكان سليمان –عليه السلام– حازما في حكمه، لا يتهاون مع المقصرين، ولا يتوان في معاقبة المخالفين، ويبدو من سياق الآية أن نفرا من الجن كانوا يروجون الأكاذيب، ويوهمون أتباعهم من الإنس بأنهم يعلمون الغيب، فأراد الله تعالى أن يجعل من موت سليمان –عليه السلام– فضحا لهذه الأكاذيب والشائعات، فالغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

[1] – سورة النمل، الآية 44.

[2] – سورة سبأ، الآية 14.

وحانت وفاة سليمان، وجاء ملك الموت لقبض روحه، وقد كان مشرفا على مجموعة من الجن المسخرين في خدمته في أعمال شاقة متعبة، فكان يراقبهم وهو واقف متكئ على عصاه، فقبض ملك الموت روحه وهو على هذه الحال، ولم يعلم الجن المسخرين بموته، فظلوا مقبلين على أعمالهم في جد ونشاط، واستمروا على ذلك مدة من الزمن.

وقد حفظ الله تعالى جثة سليمان –عليه السلام– من السقوط بفعل اعتماده على العصا التي كانت معه، وظل واقفا والجن تعمل، حتى أرسل إليه حشرة الأرضة، كما ذكر ذلك جل المفسرين، هذه الحشرة المشهورة بأكل الخشب والتهامه، فأخذت تأكل العصا وتنخرها من داخلها حتى ضعفت العصا، ولم تعد تستطيع حمل جسم سليمان –عليه السلام– عندها خر جسم سليمان على الأرض، فنظروا إليه ففوجئوا بما حصل، وعلموا أن سليمان –عليه السلام –كان متوفيا قبل مدة وهم لا يعلمون، حينها أدرك الجميع أن الجن لا يعلمون الغيب، ولوكا نوا يعلمون الغيب ما لبثوا في الأعمال الشاقة مدة من الزمن.

هذا كل ما نفهمه من الآية القرآنية بعيدا عن الأساطير و الإسرائيليات.

هكذا كانت نهاية هذا النبي العظيم، و الملك الكبير، عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأتم التسليم.

2 – تفاعل الأحداث في النص المسرحي:

أ- **سليمان والهدهد:** أمر سليمان – عليه السلام – الهدهد بالذهاب إلى البحث عن الماء، لكنه تأخر في العودة، فكلف الوزيرين "آصف" و"صادوق" بالبحث عنه، ونلحظ ذلك في :

صادوق: ألم تجده خلف هذه الرمال.

آصف: لم أر له أثرا.

صادوق:لعله فوق هذه الشجرة.

آصف:لقد ضعف بصرك يا صادوق...إنها شجرة جرداء لا تخفي شيئا.

صادوق:ماذا جرى لهذا الهدهد اللعين.

آصف: لست أدري.

صادوق:متى أمرك سليمان بإطلاقه؟.

آصف: في الضحى وقد ترآى لنا الشاطئ.

صادوق:لعله ظل عن موضع الماء في الفيافي الشاسعة؟.

آصف:إذا ظل عن موضع الماء فإنه لا يظل عن موضعنا نحن...لماذا لم يعد إلينا حتى الساعة.[1]

بعد حين عاد الهدهد فوجد سليمان غاضبا منه، وقد توعد بمعاقبته شر عقاب، يبدو ذلك في:

آصف: الهدهد...قد عاد...

سليمان: لأعذبنه عذابا شديدا...جئني به؟.[2]

ولكن الهدهد كان ذكيا، فقد بادره بالحديث وتقديم عذره وسبب تأخره، وجاء لسليمان بخبر أطفأ كل غضبه؛ عن بلاد تحكمها امرأة جميلة عادلة، وهي بلاد سبأ، وأن أهلها يعبدون الشمس من دون الله:

سليمان: صه...صه لا تقطعوا حديثه...تكلم أيها الهدهد؟ امرأة جميلة تحكمهم؟وأوتيت من كل شيء تزهو به الملوك، ولها عرش عظيم من ذهب وفضة مكلل بالجواهر...

آصف: أين هذه البلاد أيها الملك؟

سليمان: صه...دعه يخبرني...أجب من هي؟ ملكة سبأ...[3]

---

[1]. توفيق الحكيم: سليمان الحكيم، ص22.

[2]. المصدر نفسه،ص26.

[3]. المصدر نفسه، ص26.

ب- رسالة من سليمان إلى بلقيس:

عندما فوجئ سليمان بالنبأ الذي أتى به الهدهد إليه، أمره بحمل رسالة إلى ملكة هذه البلاد بلقيس.

سليمان: {كأنه لا يصغي إليه} أيها الهدهد سننظر أصدقت أم كذبت. يا صادوق... اكتب كتابا باسمي واختمه بختمي...أدع فيه ملكة سبأ إلى المجيء إلي واعرض أمرها عليَّ...واربط الكتاب بساق الهدهد ثم أطلقه في الفضاء[1]

ج-جواب بلقيس على رسالة سليمان:

عندما تلقت بلقيس رسالة سليمان جمعت أشراف قومها لتستشيرهم في الأمر، فكان رأي أشراف قومها إعلان الحرب على سليمان، ولكن لرجاحة عقل بلقيس وفطنتها ارتأت أن تكشف حقيقة سليمان ونيته بطريق آخر.

بلقيس: لقد أفسحت لكم في الوقت لتفكروا مليا في أمر ذلك الكتاب الذي ألقاه الهدهد، وقد انقضت أيام وآن الأوان فيما أرى آن تقطعوا برأي.

رئيس الجيش: إني لا أزال عند رأيي الأول يا مولاتي.

بلقيس: الحرب؟

رئيس الحرب: نحن أولو بأس شديد أيتها الملكة، ولنا جيش قوي، فلماذا نذعن لسليمان.[2]

د- صمود سليمان أمام عرش بلقيس:

عند تلقي بلقيس لرسالة سليمان ومشاورتها لأشراف قومها، ارتأت أن تجنح للسلم، فبعثت رسلا محملين بهدايا إلى سليمان لتغريه بها وتتقي شره، وفي الوقت نفسه لتتبين عن غرضه، وتعرف إن كان حقا نبيا مرسلا من الله، أو ملكا يبتغي عرض الدنيا، ولكن سليمان رد الهدايا بغضب، وطلب من الرسل الرجوع أدراجهم وحمل هداياهم معهم؛لأن له من ذلك الكثير مما أتاه الله من فضله .

الرسول: الهدية يا مولاتي...قد ردها الملك سليمان...قائلا لنا لا حاجة بي إلى هديتكم ولا وقع لها عندي...ارجعوا إلى بلقيس وقومها... ولنأتيكم بجنود لا قبل لكم بها...إذا لم تأت هذه الملكة إلي وتعرض أمرها علي[3].

هـ-عرش بلقيس أمام سليمان:

عندما سمعت بلقيس رد سليمان من رسلها قررت تلبية رغبة سليمان والخضوع لأمره؛ وذلك بالذهاب إليه، وكان سليمان في تلك الأثناء يفكر في طريقة يبهر بها بلقيس، ويريها عظمة ملكه، فانتهى قراره بالإتيان بعرشها لتجلس

[1]- المصدر السابق، ص28.

[2]- المصدر نفسه،ص35.

[3]- المصدر نفسه، ص38، 39.

عليه عند قدومها، بشرط أن يتحقق ذلك قبل قدومها، فكان الأقدر على تنفيذ هذا الأمر الخارق الجني الذي قد عاقبه سليمان من قبل بحبسه في القمقم.

سليمان: تجول برأسي فكرة لو حققها أحدكم أعطيته كل ما يتمنى.

الجميع: مرنا نطع أيها الملك.

سليمان: أريدها أن تجلس على عرشها.

الجميع: عرشها؟.

سليمان: نعم...أيكم يأتيني بعرشها قبل أن تأتي.

الجني: (هامسا) أنا آتيك به قبل أن يرتد به طرفه...

سليمان: أأنت واثق من إمكانك ذلك؟.

الجني: ضعني موضع الامتحان.[1]

و- بلقيس تتعرف على عرشها:

وعند وصول بلقيس إلى قصر الملك سليمان؛ وتعرفها على عرشها انبهرت من ذلك الأمر الغريب.

سليمان: وددت أن تحسبي هنا أنك في قصرك...

بلقيس: حقا...حقا...

سليمان: أليس هذا عرشك؟.

بلقيس: (في تؤدة وضبط نفس) لكأني به...

سليمان: أرجو أن يكون هو.

بلقيس: انه هو...شكرا لك أيها الملك الكريم[2].

ز- بلقيس في قصر سليمان:

عندها وقع سليمان في حب بلقيس واحتار في نيل محبتها، ولما كان هم الجني هو إرضاء سليمان ونيل عفوه، أراد أن يسدي له خدمة خارقة لا يستطيع أحد الإتيان بمثلها، وهي تشييد صرح عظيم يبهر بلقيس؛ لتعرف مدى قوة سليمان وحبه لها، فكان ذلك " في الصرح العجيب ...أرض من زجاج أبيض وكأنه لجة ماء...وفي صدر المكان فرش ورياش..."[3].

[1]- المصدر السابق، ص58، 59، 60.

[2]- المصدر نفسه،ص69.

[3]- المصدر نفسه،ص85.

ولما دخلت بلقيس الصرح انبهرت به وبروعة فنه، وحسبته لجة ماء.

بلقيس: (على العتبة) ما هذا أيضا يا سليمان؟.

سليمان: صرح شيدته لك...

بلقيس: لي أنا؟

سليمان: نعم...تقدمي...

بلقيس: (تكشف عن ساقها وكأنها تخاطب نفسها) كيف أجتاز هذه اللجة؟

سليمان: (ضاحكا) إذا أذنت لي فاني أحملك...

بلقيس:وأنت ؟ ألا تخاف البلل؟[1]

ح–ابتلاء سليمان ووفاته:

وبعد رحيل بلقيس من القصر ساءت حال سليمان، وانطوى على نفسه في الصرح الذي شيده لها، وكان الوزير آصف والكاهن يظنان أنه يخفي مرضا قد أصابه، لأنه كان نائما طوال الوقت، وقد كلف سليمان الصياد بالسهر على راحته، وأن لا يدع أحدا يزعجه من منامه مهما كان الأمر، ومهما طالت المدة.

وقد احتار الجميع في أمر سليمان؛ وكأنه يخفي شيئا.

الكاهن: (يلتفت جهة سليمان) عجبي لهذا الجثمان فوق كرسيه؟ لا حركة، ولا هزة، ولا إشارة ولا خلجة...[2]

وبعد فترة من الزمن خر جسد سليمان على الأرض، فانكشف أمر وفاته الذي لم يكن يعلمه إلا الصياد، لأن سليمان قد أوصاه بكتم الأمر عن الجميع، وخاصة الجن التي كانت تدعي علم الغيب، ولكن إرادة الله كانت فوق إرادة الجميع.

الصياد: ربما كان يحسب ذلك في الإمكان، ولعله كان يخشى انفلات أمر الجن؛ ووقوع الفوضى بين مملكة الجن والإنس، فظن من الحكمة لخير رعيته أن يصنع ما صنع...لقد نفذت مشيئته على كل حال...كما رأيتما...فكتمت خبره ما استطعت؛ حتى عنكما...ولكن مشيئة الله أرادت فيما أرى؛ أن تسخر مما نسميه حكمتنا، وها هي أرضة ضعيفة عمياء قد أفسدت حساب سليمان الحكيم العظيم.[3]

ومن هنا نلخص إلى أن سليمان كان حكيما أراد أن يبرهن للجميع أنه يستطيع أن يحكم رعيته حتى وهو ميت، إلا أن الموت نهاية كل حي، فهي حق على كل حي حتى على أنبياءه الكرام.

---

[1]– المصدر السابق، ص92.

[2]– المصدر نفسه،ص150.

[3]– المصدر نفسه،ص155،153.

3 –الشخصية بين النص القرآني والنص المسرحي:

1) مفهوم الشخصية:

تحتل الشخصية (character) أهمية خاصة في الأبحاث و الدراسات منذ أرسطو إلى العصر الحديث، بوصفها عنصرا مركزيا في العمل المسرحي. وقد تناولتها مجموعة من الدراسات في حقول معرفية مختلفة. وكان مفهومها مرتبطا بالحقل الذي تنتمي إليه. كما أن ثمة دلالة مشتركة بين هذه الحقول. وقد مر مفهومها بتطورات مختلفة تبعا لتطور المناهج الحديثة.

ونبدأ بالإشارة إلى مفهومها في المعجم اللغوي، حيث يشير المعجم إلي دلالة لفظه "الشخصية" من خلال مادة "ش. خ. ص" والتي تعني سواد الأسنان.

والشخص هو كل جسم له ارتفاع و ظهون وجمعه أشخاص. وشخوص، وشخاص، وشخص تعني ارتفع، و الشخوص ضد الهبوط، كما يعني السير من بلد إلى بلد، و شخص ببصره أي رفعه فلم يطرف عند الموت[1].

هذا ما كان عن كلمة "شخص" أما كلمة "الشخصية" فإنها لم ترد إلا في العصر الحديث، و قد جاءت مترجمة عن اللغة الفرنسية في الأصل التي استخدمت فيها كلمة تشخص (personal)

في القرن الثاني عشر الميلادي و هي مشتقة من الأصل اللاتيني (persona) و هذا الأصل يدل في البداية على القناع الذي يصنعه الممثل على وجهه أثناء أداء الدور المسند إليه. ثم صار بعد ذلك يدل على الدور نفسه[2]

ولتعدد مجالات الشخصية و كثرة تعريفها كل في مجاله كعلم النفس وعلم الاجتماع و الفلسفة كان من الصعب على الباحثين تحديد مفهوها ثابتا لها، فكل له تعريف حسب مجال بحثه.

أما تعريفها في النقد الأدبي فلها عدة تعريفات نذكر منها:

– مفهومها عند عبد المالك مرتاض: "هي كائن حركي ينهض العمل السردي بوظيفة الشخص دون أن يكونه"[3].

[1]– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، مادة شخص، م7، ص44.

[2]– محمد التوخي، المعجم المفضل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ج2، ص 546-547.

[3]– عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص126.

و يقصد بذلك أن الشخصية في العمل السردي تتجسد ككائن حي يتحرك فيكاد أن يطابق الحقيقة، لكنه يبقى صورة عن الحقيقة، كما أن الشخصيات لا تعني البطل، حيث نجد عبد المالك مرتاض، يرى أن الأبطال يقتصر وجودهم على الملامح و ذلك ما نلمسه في قوله: "و البطل...لا ينبغي له أن يوجد إلا في الملامح.

و يروي صلاح صالح: "أن الشخصية قبل كل شيء هي مقولة من مقولات القيمة، و هي تحقيق لغايته و جودته، أما الفرد فلا يفترض بالضرورة مثل هذه الغاية، و هي أيضا رمز على التكامل الإنساني و القيم الدائمة، و هي شاملة إذ تستوعب الروح و النفس و الجسم جميعا"[1].

فالشخصية هي مركب إنساني اجتماعي يحكمه نظام من القيم، فهي نظام ديناميكي داخلي في ذات الفرد.

و نجد للشخصية مفهوما أخر عند "لوتمان" إذ يرى أنها: "مفهوم معطى مع البنية الدلالية المجردة فلحظة التفكير في الحياة، من خلال حدود قيمية تمثل أمام الإنسان على شكل ثنائيات تقابلية تبرز الشخصية عبر الفعل، كحد بين التجريد (الكوني و العام و المجرد) و بين إمكانية إسقاط سلسلة من الوضعيات الإنسانية التي تمثل في جميع الحالات حالة خاصة تتطلب معالجة خاصة فالشخصية عند "لوتمان" تتمثل في جميع الحالات حالة خاص، مما يجعلها تقتضي معالجة خاصة و كل الصفات التي تستند إلى هذه الشخصية، من أسماء علم أو مميزات، لا تتعدى أن تكون تخصص لحالة.[2]

إن إعطاء تعريف شامل للشخصية ليس بالأمر اليسير، و قد ارتأينا اختيار تعريف للشخصية مما نراه مناسبا لشخصيات الحكيم.

فالشخصية هي الكائن الإنساني الذي يتحرك في سياق الأحداث، و قد تكون الشخصية ليست كائن بشري فتستخدم كرمز يشف عما وراءه من شخصيات إنسانية تستهدف العبرة و الموعظة من ورائها.[3]

و قد يختلف توظيف الشخصيات في أي عمل ورائي أو مسرحي، و هذا حسب الكاتب و الظروف المحيطة به،

و غيرها من العوامل التي قد تؤثر في الشخصية مما يجعل الشخصيات تتمايز في هذه الأعمال.

و الشخصيات التي اختارها الحكيم في مسرحيته لم تكن من خيال، و لكن اعتمادا على كتب التاريخ و التراث التي استند عليها و بني عليها مسرحيته، ككتاب ألف ليله و ليله و كذلك الكتب المقدسة و القرآن الكريم، و قد امتازت

[1]- صلاح صالح: سرد الأخر (الأنا و الأخر عبر اللغة السردية) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2003،ط1،ص85.

[2]- سعيد بن كراد: سيمولوجية الشخصيات السردية، مجدلاوي، الأردن،2003، ط1، ص54-55.

[3]- عزيز مريون: القصة و الرواية، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1980، ص27.

شخصيات الحكيم بأنها "عبارة عن دمى تتحرك في يده كما تتحرك الدمى في مسرح العرائس، و هذا ما يلحظ على سيطرة أفكار المؤلف على شخصياته و هذه قراءة لشخصيات مسرحية "سليمان الحكيم" و مقارنتها بالنص القرآني.

2) الشخصية في النص القرآني:

أ- شخصية سليمان –عليه السلام–:

يقول الحافظ بن عساكر عن نسب سليمان "هو سليمان بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نخشون بن عمينا أداب بن إرم بنحصرون ابن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبي الربيع نبي الله بن نبي الله"[1].

لقد تحدث القرآن الكريم عن سليمان –عليه السلام– سبع سور، وورد اسمه في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، و منها ندرك أنه نبي كريم، وملك عظيم، و نستطيع أن نستدل من إشارات القرآن أنه ابن نبي الله داوود –عليه السلام– حيث منه اكتسب الصفات التي أهلته لإقامة أعظم مملكة إيمانية، فورث منه الملك والعلم، فقد أوتي سليمان علما غزيرا وفهما دقيقا وحكمه بالغة، من عند الله تعالى ،يشهد لذلك الكثير من آيات القران الكريم .

وقد أنعم الله عليه بنعم جزيلة وألاء جسيمة، نرى فيها أنها معجزات له أيده الله بها لتكون دليلا على صدقه في دعوى النبوة، ولقد ساهمت هذه النعم بشكل كبير في قوة ملك سليمان وبناء شخصيته، وقد استجاب الله دعاءه﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ ﴾[2]

فوهبه الله ملكا وحكما عظيما تمثل في:

- علمه الله منطق الطير والحيوان وسخرها له، وأتاه الله من كل شيء يصلح له ويتمناه.
- أسال الله له عينا من النحاس المذاب، استخدمها في الصناعات في مملكته.
- سخر الله له الرياح رخيمة في نفسها ،وريحا عاصفة قوية في هبوبها على حسب حاجة سليمان وإرادته ،يصرفها كما يشاء.
- سخر الله له الجن كافرهم ومؤمنهم فاستعان بهم في إقامة القصور والمعابد والتماثيل والقصاع والقدور الثابتة.

وهنا يمكن أن تظهر سمة من سمات شخصيته حيث كان حازما،صارما مع كل من يقصر أو يتلكأ في عمله بأن يصفد في الأغلال.

وقد تعامل سليمان عليه السلام مع هذه النعم وهذا الملك العظيم بالشكر، حيث نلمس في شخصيته الانقياد والطاعة والاستسلام لخالقه، والتواضع لخلق الله، ولم تدفعه هذه النعم وهذا الملك إلى الاستكبار والعلو– كما يفعل ملوك الدنيا–

[1] – إسماعيل ابن كثير، قصص الأنبياء،دار الجيل ، بيروت، لبنان،دت، ط3،ص 465.

[2] – سورة ص، الآية 35.

وتعد هذه النعم كلها على أنها نعم ظاهرة في ملك سليمان مع ذلك الجيش المنظم المرتب المتكون من(الجن والإنس والطير) يسيرون بانتظام وانضباط، وينفذون ما يوكل إليهم من مهام.

كما توجد نعم باطنه أنعم الله بها على نية سليمان نستخلصها من قصته مع النملة وقصته مع الهدهد حيث نستفيد من فوائد عظيمة نجدها في شخصيته- عليه السلام –نجملها فيما يلي :

سمة اليقظة والدقة والحزم فلم يغفل عن غيبة جندي في حشد ضخم من الجن والإنس والطير ، الحزم والشدة حتى لا تسود الفوضى أوساط الجيش.

- تفقد الراعي لرعيته، والحاكم لأهل مملكته والتعرف على أحوالهم، فيأخذ على أيدي المقصرين ويعاقب المستهترين.
- القسوة المطلوبة، معاقبة المخالف أمر ضروري لأن أي مخالفة لا تقابل بالجزاء المناسب لابد أن تثير مخالفات أخرى متعددة أعظم منها.
- قبول عذر المعتذر إذا كان صحيحا قائما على الحجة الدامغة والسلطان المبين.
- عدم التكبر لمن بلغ منزلة ما من العلم فلن يصل الإنسان إلى الكمال، فان عرف شيئا غابت عنه أشياء، وهذا مدعاة التواضع وترك الغرور، ومعرفة المرء قدر نفسه.
- التيقن في نقل الأخبار، حيث لايتطرق إليها شك، وغير مبنية على الظن.
- وكذلك التبيين في الأخذ بالأنباء، حتى يتبين الصدق فيها من الكذب .

أما من خلال قصته مع ملكة سبأ فيمكن أن نستشف السيمات التالية :

- التعامل مع الخبر بحكمة، ويظهر ذلك في الموضوعية والمنهجية التي يجب أن ينظر بها الإنسان إلى الأخبار الجديدة، التي يسمعها فالمسارعة بقبولها مزاجه.
- إرسال الكتب وتحسينها في الشكل والمضمون، ومراعاة الاقتصار قدر الإمكان، مما ينتج عنه دقة متناهية وحكمة بالغة.
- استعمال الذكاء و الفطنة للحاكم أو الملك عند مقابلة الملوك.

على الرغم من هذا الملك العظيم الذي وهبه الله لسليمان –عليه السلام- الذي لم يهبه لأحد من قبله ولا من بعده، نستشف في شخصيته الطاعة والانقياد والاستسلام لخالقه، والرجوع إليه إذا أخطأ بالاستغفار والتوبة.

ضف إلى ذلك التواضع لله وللناس، وكذلك امتيازه بروح المسؤولية والجدية الصارمة، وحكمته وذكائه في تسير أمور مملكته، والوصول إلى مراده وهو الحكم لله وحده وإدخال الناس في دينه، لا لشهوة أو رغبة في نفسه، فكان هدفه نشر دين الله وإعلاء كلمته، وتحطيم كل ما يعبد سواه.

ب- **شخصية بلقيس:**

رغم ما قيل عن المرأة في المحطات التاريخية من كلام، فهي من الشجرة المسمومة عند الإغريق، وجسد بلا روح عند الرومان، إلى سم الأفاعي عند الهنود، إلى اللعنة عند اليهود، إلى عار لابد من وأده عند عرب الجاهلية، كلها مسميات و أصناف لكائن لم يزل يسيل الكثير من الحبر في الفكر قديما وحديثا، فجاء الإسلام ليزيل عن المرأة غبار الظلم؛ فرد لها اعتبارها، ومحي لها من الوأد؛ وتوّجها سيدة التربية، ومن بين هذه الشخصيات النسوية "بلقيس" فهي نموذج الريادة والحكمة والكبرياء.

هي بلقيس بنت سرا حيل ملكة سبأ، ذكر الثعلبي و غيره أن قومها ملكوا عليهم بعد أبيها رجلا، فعم الفساد، فأرسلت إليه تخطبه فتزوجها، فلما دخلت عليه سقته خمرا ثم حزت رأسه و نصبته على بابها، فأقبل الناس عليها و ملكوها عليهم، و هي بلقيس بنت سرا حيل بن ذي جدن بن السيرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قطحان، وكان أبوها من أكابر الملوك[1].

- تعد بلقيس من الشخصيات النسوية التي وردت ومضاتها في كتاب الله التي صنعت الريادة، والتي تحتاج منا وقفة ثابتة على قدم التدبر.
- وهي زعيمة بأتم معنى الكلمة، لم يكن في أنوثتها مثبط عن إدراك مسؤوليتها و قيامها بها على وجه يعجز الرجال عن القيام به فهي:

*تملك و هي الملكة التي"**وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ** " [2]فهي ملكة حاكمة ناضجة العقل، حيث ظهر ذلك في القدرة على الاستماع إلى الأخر و قبول قوله – ولوكان رأيا مخالفا– وهذه الصفة صفة قيادية، قلّما تتاح للرجال، ناهيك عن النساء قال تعالى على لسانها ﴿ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩ ﴾ [3]

[1]– ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سابق، ص469.

[2] – سورة النمل، الآية 23.

[3] – سورة النمل، الآية 29.

بل وفوق الاستماع؛ هي تكرم هذا الكتاب بالوصف في بلاطها مع أنه بالمعنى المعاصر يعتبر كتاب تهديد، فيا ترى لو كان رجلا هل كان سيأخذ الأمر بنفس مطلق، ويقول عن كتاب تهديد "إنه كتاب كريم" لولا أنها امرأة ذات حكمة تعطي في صورتها درسا للقيادة والريادة.

فهي تقدر الكتاب وتقول عنه جليل المقدار من شخص عظيم الشأن، فربطت شأن الكتاب بشأن مرسله حتى تناقشه مع ملئها، موضحة لهم أن المرسل لا ينطلق بالتهديد من عدم، فكأنها تلمح إلى أن الأمر جلل وليس مجرد رغبة ملوكية في التغطرس والتجبر.

فلم تتسرع في أخذ القرار ولم تتفرد عنهم بقضاء، واستشارت قومها في الرأي،﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [1] ولنسترجع هنا متى بدأت مناهج النظم الحديثة تعتبر الشورى مطلبا ديمقراطيا للحكم الصحيح، أولم يكن هذا بعد بحار من الدماء في محيط الثورة الفرنسية وما بعدها، أما ديننا الحنيف فيدعوا إلى نظام الحكم على مبدأ الشورى كأساس.

- ومما امتازت به شخصيتها كذلك احترامها للأرواح والعمران تحت سلطانها، حتى لا تزج أو تدخل في حرب لا تدري ما نهايتها ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [2]

فهل بإمكاننا أن نجد شخصيات قيادية تضع هذا في حساباتها الحربية،(هل وضع هذا هتلر أوالحجاج أو صدام أومعمر القذافي) كما وضعته بلقيس.

زد على ذلك حنكتها السياسية ودعوتها للمهادنة والتروي، حتى تتعرف إلى هذا الخصم الجديد وتزن قوته ومواطن ضعفه ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [3]

فإدراكها قوة الخصم عن قرب؛ يعنيها على جدولة معطياتها في المواجهة أو الاستسلام، وكذلك اختبار سليمان – عليه السلام–، فيما إذا كان نبيا حقا؛ أو مجرد ملك يقبل هديتها، ويتركها وقومها لحالهم، فنتشف من خلال هذا روح

[1] – سورة النمل، الآية 32.
[2] – سورة النمل، الآية 34.
[3] – سورة النمل، الآية 35.

المسؤولية عندها والقيام بواجبها نحو قومها، وتظهر حكمتها كذلك في موقفها حينما هرع إليها جنودها يحدثونها عن قوة سليمان واستحالة صد جيشه .

فظلت محافظة على ثباتها ورزانتها، ثم نراها بكبرياء تعترف بالحق بعد تيقنها منه، لتقول وهي جديدة العهد بالإيمان﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [1]

بندية لا بخضوع، فهي لم تستسلم لسليمان –عليه السلام– بل أسلمت معه، فما أكبرها من امرأة، فقد علمتنا بلقيس دروسا في صنع الريادة وبرداء الكبرياء والعزة، من خلال موقفها في القرآن الكريم، ومن هنا يمكن القول أن شخصية بلقيس هي منبع تسقى منه قيم الديمقراطية والحرية والعزة، وفلسفة التواضع والصدق مع النفس.

ج– شخصية الهدهد:

يعد الهدهد نوعا من الطيور التي سخرها الله سبحانه وتعالى لخدمة سليمان ،فهو جندي من جنوده وهو من الطيور الجاثمة المشهورة المعروفة بجمالها، لكن هدهدنا هذا يختلف عن باقي الهداهد حيث استطاع أن يقلب صفحات من التاريخ ويفتح صفحات جديدة، فقد كان داعية إلى التوحيد ناه عن الشرك وذلك بروح المبادرة التي يملكها حيث لم يكتف بأن يكون جنديا عاديا في جيش سليمان وأن هذا الجيش عظيم يضم الإنس والجن والطير فبادر إلى البحث عن دور هام يناسبه ويأخذ موقعه بجدارة واستحقاق، حيث كان هدفه جلي وهو البحث عن أعداء الله وإخبار نبي الله سليمان بهم.

فانطلق باحثا عن مكانة له دون استئذان فوجد ملكة سبأ وقومها يعبدون الشمس من دون الله فخر ذلك في نفسه ورجع عائدا مسرعا إلى سليمان، وهنا نلمس سمة الثقة بالنفس والتكلم مع سليمان غير مكترث لعقاب أو قتل، مفتخرا بالعلم بين يدي سليمان – عليه السلام – حيث بادره بلغة فيها كثير من الفصاحة والبلاغة والأهمية

قَالَ تَعَالَى:﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ

[1] – سورة النمل، الآية 44.

فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1]

فنلمس من هذه الآية سمات اختص بها هذا الهدهد حيث نجد الأمانة في النقل وسمو همته وحمل رسالة الهداية، والمشاركة في الدعوة إلى التوحيد، والى نبد الشرك بالله سبحانه وتعالى ،فكان مثالا في التهذيب وحسن الأخلاق وقمة التأدب حين ألقى "لبلقيس" رسالة "سليمان" وتنحى جانبا حتى تشاور جنودها وتتخذ قرارها الهام.

و من ثمة فالهدهد أحد الشخصيات البارزة والفاعلة في تطور أحداث القصة وتسلسلها.

د- شخصية النملة:

تعد النملة من الحيوانات التي قدمها لنا القصص القرآني، والنمل أمة من أمم الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[2] ولقد خلد لنا القرآن هذه النملة وذلك بقوله﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[3] ويمكن أن نستشف من هذه الآية الكريمة سمات هذه النملة حيث بلغت من الحكمة والفطنة والحرص وقد اشتملت نصيحتها هذه على عشرة أنواع رغم إيجازها " النداء والتنبيه والتسمية مع الاختصار على هذه الأنواع العشرة"[4]فكان حرصها على أمتها وإشفاقها عليهم واهتمامها بهم وتفكيرها من تخليصهم من الخطر وإيصالهم إلى بر الأمان.

وأمة النمل كغيرها من الأمم تدعوا ربها وتسأله الخير، فقد ورد عن الرسول – صلى الله عليه وسلم- أن سليمان

- عليه السلام – خرج ذات يوم يستسقي ماء، فإذا هو بنملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها تقول:"اللهم إني خلق من خلقك ليس بنا غنا عن سقياك فإما أن تسقينا وترزقنا وإما أن تميتنا وتهلكنا فقال ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم"[5].

[1] - سورة النمل، الآية22-23-24-25.

[2] - سورة الأنعام، الآية 38.

[3] - سورة النمل، الآية 18.

[4] - ابن القيم الجوزية:مفتاح دار السعادة، دار الحديث، القاهرة، 1997، ط1، م1، ص281.

[5] - ابن كثير، مصدر سابق، م3، ص 459.

ولا يختلف النمل عن مجتمع النحل، حيث هو مجتمع منظم دقيق مقسم المهام بينهم، فسبحان الله خلق كل شيء وقدره تقديرا.

هـ- شخصية الجن:

يعد عالم الجن عالم مستقل قائم بذاته، فقد ذكر الله تعالى لنا في كتابه الكريم ما يتعلق بهم،وفصلت كتب السيرة كثيرا من أحوالهم وأحكامهم، وألف العديد من العلماء مصنفات في غرائبهم وعجائبهم، وقد أكثر العرب في أشعارهم من ذكر الجن؛ وأطلقوا عليهم في كلامهم أكثر من اسم ووصف، فهم عندهم على مراتب"إذا ذكروا الجن خالصا قالوا:جني، فإذا أرادوا أنه مما يسكن مع الناس قالوا:عام والجمع عما، فإذا كان مما يعرض للصبيان قالوا:أرواح، فإذا خبث وتمرد قالوا: شيطان، فإذا زاد أمره على ذلك قالوا: ما رد، فإذا زاد أمره على ذلك وقوى أمره قالوا: عفريت"[1]

فالجن عالم خاص خلقهم الله من نار مقابل خلق الإنسان من طين **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾[2]

والجن منهم المؤمن الصالح ومنهم الكافر الظالم. يقول تعالى﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾[3]

و قد سخرهم الله لنبيه سليمان – عليه السلام–

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾[4]

حيث كانوا ملزمين بطاعته، ومن يخرج عن طاعته يلاقي عذابا شديدا بالسعير "وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ".

---

[1]- ابن عبد البر، التمهيد، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ، م 11، ص117-118.

[2] - سورة الرحمن، الآية 15.

[3] - سورة الجن، الآية14-15.

[4] - سورة سبأ، الآية 12-13.

و للجن قدرات خارقة يمتازون بها عن الإنس، وقد استفاد سليمان –عليه السلام– من قدراتهم و التي ساهمت في تقوية مملكته وازدهارها وعمرانها، حيث كانوا يغوصون البحار، فيخرجون الكنوز واللؤلؤ من أعماقها؛ واستعمالها في إقامة المباني العظيمة؛ و تشيد الصروح العجيبة، فالجن بقواهم الخارقة يبنون ويشيدون، و قد قص سليمان –عليه السلام– و ملكة سبأ أن أحد الجنود تعهد لسليمان.

3) الشخصية في النص المسرحي:

أ- **شخصية سليمان:** حافظ الحكيم علي شخصية سليمان –عليه السلام- كما وردت في القرآن الكريم، حيث ظهر سليمان بأنه نبي الله المختار الذي وهب الله له المعجزات الخارقة، فهو عالم بلغة الحيوانات كالنمل و الهدهد، وسخر الله له الجن والإنس، يأتمرون بأمره.

إلا أننا نقف عند بعض التفاصيل الواردة في المسرحية، حين صبغ الحكيم شخصية سليمان وإسرافه في تصرفاته التي لم نلمس لها أثر في القصة القرآنية، وهي جعله إنسان يتسلق وراء أهواءه ورغباته بالرغم من نبوته، فقد يخطئ أحيانا، ومثال ذلك تسخير الجن لتلبية حاجاته الشخصية:حيث أنه أمر الجني بسحر"منذر" أسير الملكة "بلقيس" وتحويله إلي حجر، وسبب ذلك حب بلقيس لهذا الأسير، فأراد سليمان إزاحته عن طريقه والتخلص منه حتى تتاح له الفرصة للتقرب من"بلقيس"، وهذا التصرف أضفاه الحكيم علي شخصية"سليمان" علما أنه لم يرد في القرآن الكريم.

و من هنا يمكن القول بأن الحكيم قد وفق في الحفاظ على ملامح سيدنا سليمان –عليه السلام- كما وردت في القرآن، وما كان جديدا فهو من إبداعه الخاص.

ب- شخصية بلقيس:

ظهرت بلقيس في المسرحية بنفس الملامح التي اتسمت بها في القرآن الكريم، فبدت امرأة راجحة العقل، متبصرة عادلة، فلم تكن معتدة برأيها، بل كانت تعتمد مبدأ الشورى بينها وبين أشاف قومها وعليتهم، فتطلب مشورتهم، وكانت محبة لرعيتها، خائفة دوما علي مصالحهم، فقبلت الخضوع والذهاب إلي سليمان في قصره، علي أن تعرض رعيتها لخطر الحرب وما ينجم عنها، لأنها كانت متفانية في خدمتهم.

ومن جهة ثانية أضفى الحكيم علي هذه الشخصية ملامح جديدة تمثلت في:حبها للأسير"منذر" وتعلقها به رغم أنه لم يبد لها أي اهتمام، ولا يكنّ لها أي مشاعر، ونلمس أيضا تحويرا آخر يتمثل في علاقتها بسليمان، حيث بدت مختلفة نوعا ما عما ورد في القرآن، حيث بديا أكثر انسجام وتقارب.

أما ما حافظ عليه الحكيم كذلك، أن بلقيس كانت نفسها مشرقة للإيمان بوحدانية الله، حيث أنها بمجرد أن رأت معجزات الله لسليمان، أسلمت وجهها لله، و أعلنت دخولها في دين سليمان –عليه السلام-.

ج- شخصية الصياد والجني:

لقد وردت هاتين الشخصيتين ملتحمتين مرتبطتين لا نستطيع الفصل بينهما، حيث حظيا بنصيب وافر من حوار المسرحية، فشخصية الصياد من إبداع الحكيم حيث أنه استمدها من ألف ليلة و ليلة، إلا أنه أضفى عليها بخياله الخاص، حيث أنها لم ترد في القرآن الكريم، ولا حتى بمجرد إشارة وقد ظهرت، هذه الشخصية بمظهر الرجل المتمرد الحذر، خائف من عقاب سليمان حين حمله عواقب أعمال الجني إذا ما اقترف خطأ ما، حيث كان مصيرهما مشترك في الثواب و العقاب. وكانت شخصية الصياد محورية، ولها دور كبير في تأزم الأحداث، و قد ظهرت هذه الشخصية بملمح الإنسان المتقي العاقل، الذي يرفض أذية الناس، حيث كان رافضا ما فعل الجني "بمنذر" الأسير.

أما الجني فاتسمت شخصيته بالتمرد، فكان عاصيا لأوامر سليمان، وكان مغرورا، و يرى أن تلك الأوامر التي كان يفرضها عليه سليمان غير مناسبة لمكانته، لأنه يرى نفسه جديرا بمهام صعبة، يتعسر على أي مخلوق القيام بها، فعاقبه سليمان على عصيانه له بحبسه في القمقم ورماه في البحر، وهذا تحرير ملفت للنظر أضفاه الحكيم على هذه الشخصية، والذي نلمح ضده تماما في القرآن حيث بدت شخصية الجن مطيعة متلهفة لكسب رضا سليمان وتلبية أوامره.

د- شخصية الهدهد:

لقد كان سليمان عارفا بلغة الطيور ومن بينها لغة الهدهد، فكانت لهذه الشخصية حضورا في المسرحية، ولكن نلاحظ أن حضوره كان ثانويا، حيث أسهم في القليل من أحداث المسرحية، حيث تلخصت مهمة الهدهد في البحث عن الماء وإتيانه بنبأ من سبأ، ونلاحظ أن الهدهد كان معجزة منّ الله بها على سليمان – عليه السلام- كما هو وارد في القرآن الكريم، أما في النص المسرحي كان لها دور ثانوي في تأزم الأحداث وتطورها .

ومن خلال ما ورد من شخصيات في مسرحية "سليمان الحكيم" نجد هناك اختلاف نسبي بينها وبين النص القرآني يمكن تلخيصها في:

- إضفاء صفات وسمات جديدة على الشخصيات الواردة في القرآن الكريم، وخاصة شخصية سيدنا سليمان-عليه السلام- والتي بدت بملمح إنسان عادي، حتى يقترب به الحكيم من الجمهور ويتماشى مع مسرحية الذهني.
- وورود شخصيات جديدة لم تكن مذكورة في القرآن، وهذا من تعدد مصادر الحكيم في هذه المسرحية، كما أضفى عليها من خياله الإبداعي.
- كما أن هناك تهميش بعض الشخصيات التي كانت رئيسية في النص القرآني، فأصبحت ثانوية في النص المسرحي.

إن هذا التغيير لم يحدثه الحكيم عبثا، بل كان متعمدا، حتى لا تعتبر مسرحيته مجرد تكرار لأحداث عرفناها وألفناها مند أمد، من خلال قصص الأنبياء والرسل، فأضفى أشياء جديدة، وألبس الشخصيات لبوس العصر، حتى يرفع من عمله الفني إلى مستوى الإبداع، مع محافظته على قدسية العقيدة، وعدم مسها بسوء، وهذا ما يعرف عن مسرح توفيق الحكيم في مسرحياته التي استلهم مادتها من النص الديني.

خاتمة:

يعد الحديث عن توفيق الحكيم أب المسرح العربي، وخاصة فيما اشتهر به "المسرح الذهني" ، أرضية خصبة لإثارة مناقشات هامة، ويطرح العديد من التساؤلات لدى القارئ، يتلخص ذلك في الحوصلة التي توصلنا إليها من خلال اطلاعنا على بعض أعمال الحكيم المسرحية، والتي نلخصها فيما يلي :

1) لقد كان هدف الحكيم إرساء قواعد الفن المسرحي، حيث وفر هذا النوع من المسرح جوا مليئا بالمناقشات الجدلية، وأزاح الكثير من القيود الفكرية.
2) لم يسرد الحكيم القصة القرآنية كما وردت في القرآن الكريم، بل أدخل عليها بعض التغييرات، والتي بدورها فرقت بين الأصل والإبداع.
3) تنوع ثقافة الحكيم ، وتعدد المنابع التي استقى منها مادته، أدى به إلى دراك أن الفكر ملك للبشرية جمعاء، ومن ثمة أراد الحكيم بهذا النوع أن يرفع أهل الأرض إلى العوالم المتألقة العالية، حيث أراد أن يجوب دنيا المطلقات المجردة، ويعيش في جو مليء بالأفكار المجردة والصراعات الذهنية، فجعل الشخصيات أفكارا تتحرك في المطلق من المعاني، مرتدية أثواب الرموز.
4) أراد الحكيم من هذا النوع أن يستفز الذهن بمخاطبته للقارئ، لأن القراءة تفسح المجال واسعا أمام القارئ؛ ليحل كل العقد في النص المسرحي الذهني، في حين قد لا يتاح للمتفرج ذلك، لأن هذا الأخير يرتكز على الأحداث ويشتغل بها على حساب الفكرة.
5) كان أمام الحكيم خيارين؛ إما أن يلبي ذوق المجتمع؛ أو أن يسير في طريق الفكر الخالص، وقد فضل أديبنا هذا الأخير.
6) وقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى أن للقصة القرآنية خصائص تتفرد بها عن القصة الفنية؛ حيث تركز هذه الأخيرة على الإبداعات الفنية فحسب، وتتجاوزها القصة القرآنية بغرض الإيمان بوحدانية الله –عز وجل–.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1- إسماعيل ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار الخير، دمشق-بيروت- سنة 2006-ط1.

2- السيد قطب:في ظلال القران، دار الشروق، القاهرة، 1981م، ط1.

3- السيد قطب : التصوير الفني في القرآن ،دار الشروق ، الطبعة الثانية ، 1983.

4- القرطبي :الجامع لأحكام القران ،دار الكتب العلمية ،بيروت،1998م،ط5.

5- إسماعيل ابن كثير، قصص الأنبياء،دار الجيل ، بيروت، لبنان،دت، ط3.

6- محمد ابن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، دار الجيل، بيروت، دت.

7- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية للنشر، لبنان، 2008.

8- توفيق الحكيم: مسرحية سليمان الحكيم، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1948، ط2.

9- توفيق الحكيم:ببجماليون، مكتبة الآداب، القاهرة، دت.

10- توفيق الحكيم: ملامح داخلية، حوار أجراه ألفريد فرج مع توفيق الحكيم، دار الشروق للنشر والتوزيع، مصر، 2007 .

11- توفيق الحكيم: مسرحية أهل الكهف، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1975

12- توفيق الحكيم: تحت شمس الفكر، دار مصر للطباعة ، الفجالة ، دت.

13- ابن منظور محمد بن كرم: لسان العرب، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1375 هـ - 1956 م.

14- ابن عبد البر، التمهيد، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ

15- صلاح عبد الفتاح الخالدي: القصص ا لقرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، سوريا، 1998، ط1.

16- ابن القيم الجوزية:مفتاح دار السعادة ،دار الحديث ،القاهرة،1997،ط1.

17- محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر،1998،ط1.

18- عبد المنعم أبو زيد عبد المنعم: الخطاب الدرامي في المسرح الحديث، مكتبة الآداب، مصر،دت،ط1.

19- حلمي بدير: فن المسرح، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1 2003.

20- محمد زكي لعشماوي : أعلام الأدب العربي الحديث ، دار المعرفة الجامعية،مصر، 2005، ط1.

21- عمر الدسوقي : المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها، دار الفكر العربي، مصر،1970،ط5.

المصادر والمراجع:

22- محمد عزيزة: الإسلام والمسرح، ترجمة رفيق الصبان، عيون المقالات، دار قرطبة، 1988،ط2.

23- مشال عاصي:الفن والأدب، بحث في الأنواع والمدارس الأدبية والفنية، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1970، ط2.

24- إسماعيل أحمد ادهم: أدباء معاصرون، دار المعارف، مصر، 1985،ط2.

25- عبد المطلب محمد السيد الحديدي: صورة المرأة في مسرح توفيق الحكيم، دار السعادة للطباعة، مصر، 1988، ط1.

26- رجاء عيد: قراءة في أدب توفيق الحكيم، منشأة المعارف، الإسكندرية،دت، ط2.

27- شكري غالي: ثورة المعتزل، دراسة في أدب توفيق الحكيم، مكتبة الانجلوالمصرية، القاهرة،1966، ط1.

28- خالد أحمد أبو جندي :الجانب الفني في القصة القرآنية منهجها وأسس بناءها، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة.

29- مصطفى هرارة :دراسات في الأدب العربي الحديث ،دار العلوم العربية ،بيروت ،لبنان،1990.

30- محمد التوخي، المعجم المفضل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.

31- عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

32- صلاح صالح: سرد الأخر (الأنا و الأخر عبر اللغة السردية) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2003،ط1.

33- سعيد بن كراد: سيمولوجية الشخصيات السردية، مجدلاوي، الأردن،2003،ط1.

34- عزيز مريون: القصة و الرواية، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1980،